بلاغة أسلوب الأمر
في سورتي المزمل والمدثر

م.م زهراء محمد عبد الغني*

مريم شامل محمد يوسف

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩) } العَنكَبُوت :

صدق الله العظيم

Conclusion:

After studying the imperative style in Surat Al-Muzzammil and Surat Al-Muddaththir, analyzing the context of the verses, the significance of the commands, their metaphorical purposes, and their various forms, I reached several conclusions.

The most important of these is that the imperative verbs in Surat Al-Muzzammil are presented in a calm form, calling on the Prophet Muhammad (peace and blessings be upon him) to worship and be patient with the polytheists, while in Surat Al-Muddaththir, they are presented in a strong form, calling for warning and declaring the call to Islam. Furthermore, some of the commands were not intended to be merely obligatory, but carried other meanings, such as glorification, choice, or continuity, each according to its context. The commentaries consulted, such as Tafsir Al-Tahrir wa Al-Tanwir by Muhammad Al-Tahir Ibn Ashur,

* وزارة التعليم العالي والبحث العلمي/جامعة الموصل/كلية التربية للبنات/قسم اللغة العربية.

contributed to understanding the general context of the verses and the meanings, forms, and metaphorical purposes contained in their imperative verbs.

In conclusion, I ask God that this research has clarified a small part of the eloquence of the Holy Quran, and I urge further studies on the methods of the Holy Quran to understand it more precisely and deeply. And God is the Grantor of success.

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا إلى سبيل الحق، وأوضح لنا من خلال القرآن الكريم معالم الطريق وسبل الفهم، والصلاة والسلام على النبي الأمين الذي بعثه الله ليعلمنا بلاغة الكلمة وأثرها في النفوس.

أما بعد:

فقد جاء اختياري لموضوع "بلاغة أسلوب الأمر في سورتي المزمل والمدثر " انطلاقًا من شغفي بعلم البلاغة، ورغبتي في تعلُّم تفسير القرآن الكريم منذ صغري، لما يحمله من دلالاتٍ بيانيةٍ عميقةٍ تعكس إعجازه اللغوي، وقد لفتني في هاتين السورتين كثرة الأوامر الإلهية، التي تتنوع بين التوجيه والتكليف والإنذار، مما يجعل دراستها من زاوية بلاغية أمراً ضروريًا لفهم أبعادها ودلالاتها في السياق القرآني.

واجهتني صعوبة كبيرة في قلة المصادر التي تتناول بلاغة أسلوب الأمر بشكل تفصيلي ودقيق، مما جعلني أبحث وأغوص في تفاسير مختلفة ومتنوعة، لأشعر بمتعة لا تضاهى في اكتشاف تفاصيل هذه البلاغة، التي تزيد إيماني بعمق معاني ذلك الكتاب العزيز وجماله يتكون البحث من تمهيد يتناول خمسة محاور رئيسة:

أولاً: البلاغة لغة واصطلاحًا، إذ نعرض معنى البلاغة في اللغة وفي الاصطلاح.

ثانيًا: الأسلوب لغة واصطلاحاً، حيث نوضح معنى الأسلوب واستخدامه في النصوص الأدبية والقرآنية.

ثالثًا: علم المعاني، الذي يهتم بدراسة المعاني البلاغية وتفسيرها في القرآن الكريم.

رابعًا: الخبر والإنشاء، هو مدخل لفهم أسلوب الأمر يقع ضمن أسلوب الإنشاء الطلبي.

خامساً: التعريف بسورتي المزمل والمدثر، إذ نتعرف على السورتين، وأهمية الأوامر فيهما.

وقد جاء هذا البحث موزعاً على مبحثين رئيسين، المبحث الأول بعنوان "أسلوب الأمر في سورة المزمل"، ويتضمن تمهيدًا يعرّف بأسلوب الأمر، ثم يعرض أبرز أساليب الأمر التي وردت في سورة المدثر، مع تحليل دلالاتها البلاغية والغرض منها في سياق السورة.

أما المبحث الثاني فهو بعنوان "أسلوب الأمر في سورة المدثر"، ويتناول دراسة لأساليب الأمر الواردة في هذه السورة ، وبيان ما تحمله من دلالات بلاغية وأغراض تعبيرية ضمن السياق القرآني.

اعتمدت في تحليلي على أربعة تفاسير، وأكثرها أهمية هو التحرير والتنوير لابن عاشور، إذ كان مصدرًا أساسيًا في فهم معاني الآيات، كما استخدمت تفاسير أخرى لتوسيع الفهم وتوضيح التفاصيل.

وأخيراً فقد انهينا البحث بخاتمة فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلاله.

التمهيد

أولاً: تعريف البلاغة لغة واصطلاحًا

أ - البلاغة لغة:

البلاغة هي فن التعبير عن المعاني بشكلٍ واضحٍ وجميلٍ، وهي علمٌ أساسيٌ من علوم اللغة العربية. لذلك، أهتم بها العلماءُ بتعريفاتٍ مختلفةٍ لها بحسب مجالات دراستهم. ومن الضروري أن نفهم معنى البلاغة في اللغة، لأنها خطوةٌ توصلنا إلى فهم بلاغة أسلوب الأمر في سور القرآن الكريم.

١- الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ) وهو من علماء اللغة، عرف البلاغة قائلًا: " بلغ: رجلٌ بلغ، بليغٌ وقد بلغ بلاغة، وبلغ الشيءُ يبلغُ بلوغًا، وأبلغته إبلاغًا، وبلغته تبليغًا في الرسالة

ونحوها"[١]. وفي هذا المعنى، تأتي البلاغة بمعنى الكفاية والإتمام. فشيءٌ بالغٌ يعني جيدًا أو متقنًا، فهو يرى أنها تعني إتقان الكلام، والوصول إلى الغاية، وإيصال الرسالة بالشكل المطلوب، بحيث يكون التعبير كافيًا وبجودةٍ عاليةٍ.[٢]

٢- بن دريد (ت: ٣٢١هـ) يُكمل هذا الفهم بقوله: "بَلُغَ وكلامٌ بليغٌ وبَلَغَ في معنى واحد، وبَلَّغْتُ الرسالة تبليغًا، وبَلُغَ الرجلُ بَلاغَةً إذا صار بليغًا. ومن أمثالهم: "أحمقُ بَلَّغَ"؛ أي: أحمقٌ يُبلِّغُ ما يُريد"[٣]. وعليه، فالبلاغة ليست مقتصرةً على الفصحاء وأصحاب العقول الراجحة؛ فمن الممكن أن يكون المتكلم أحمقَ لكنّه يصل إلى غايته بحديثٍ واضحٍ ومباشرٍ.[٤]

٣- إسماعيل بن عباد (ت: ٣٨٥هـ) يؤكد هذا المعنى بقوله: "بلغ البليغُ من الرجال، قد بلغ بلاغةً، وبلغ الشيءُ يبلُغُ بُلوغًا، وبلغتُه وأبلغتُه، وكذلك الإبلاغ في الرسالة. له بلاغٌ، وبلّغَه وتبلّغَ، أي كفاية"[٥]. ويُفهم من هذا التعريف أن البلاغة ليست جمالًا لفظيًا فحسب، بل هي القدرة على إيصال المعنى إلى المتلقي بشكل كافٍ ووافٍ، بحيث لا يترك مجالًا للشك أو الغموض.[٦]

٤- أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ) يضيف معنىً آخرَ يُكمل الصورة، حيث يقول: "بلغتُ المكان؛ إذا أشرفتَ عليه وإن لم تدخله". قال الله -جل ثناؤه-: ﴿ **فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ** ﴾،" فهذه المشارفة، والبلوغ وصول. والعرب تقول: "هو أحمق بلغ"، أي: إنه مع حماقته يبلُغ ما يريد. والبلغة: ما يُتبلَّغ به من العيش. والبليغ: الرجل الفصيح. والبلاغ: الكفاية"[٧] يوضح أحمد بن فارس أن مادة (ب-ل-غ) تدور حول البلوغ بمعنى المشارفة؛ فقولك: "بلغتُ المكان". يعني أنك أشرفتَ على الاقتراب منه، حتى وإن لم تدخله على وجه الحقيقة.[٨] وقد استدلّ ابن فارس بقوله -سبحانه وتعالى: ﴿**فَإِذَا بَلَغْنَ**

(١) ينظر: العين: ٤٢١/٤.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٤٢١.
(٣) جمهرة اللغة، ابن دريد: ٣٦٩/١.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٣٦٩.
(٥) المحيط في اللغة: ٨٧/٥.
(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٨٧.
(٧) مجمل اللغة: ١/ ٣٥.
(٨) ينظر: المصدر نفسه: ٣٥.

أَجَلَهُنَّ﴾[١] " أي: قاربنَه. وبلغ الغلام أدرك، وبابهما دخل، والإبلاغ والتبليغ الإيصال، والاسم منه البلاغ، والبلاغ أيضًا الكفاية".[٢]

ب - البلاغة اصطلاحًا:

١- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني (ت: ١٤٢٥هـ) يقول: البلاغة هي توافق الكلام مع حال المخاطب، مع فصاحة مفرداته وجمله[٣] بمعنى آخر، البلاغة هي أن يكون كلامك مناسبًا للشخص للشخص الذي تخاطبه، وللموقف الذي تتحدث فيه، وللزمن والمكان، مع استخدام ألفاظ واضحة وجمل خالية من الأخطاء.[٤].

٢- محمد علي طه الدّرّة (ت: ١٤٢٨هـ): "البلاغة هي تأدية المعنى الجليل واضحًا، بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثرٌ خلاب، مع ملاءمة كل كلام للموطن الذي يُقال فيه، والأشخاص الذين يُخاطَبون.[٥] وبمعنى آخر، البلاغة ليست مجرد ألفاظ جميلة ومعانٍ عميقة تؤثر في النفس بطريقة أو بأخرى، بل هي تأثير جذاب يناسب الزمان والمكان والأشخاص الذين يُوجه إليهم الكلام، وهي كذلك تأدية المعنى الجليل [٦]" أي: المتصف بصفات الجلال والعظمة، المستحق أن يُعرف بجلاله وكبريائه".[٧]

٣- أبو هلال العسكري (ت: ٣٩٥هـ) يروج البلاغة على أنها" توصل المعنى إلى قلب السامع، فيفهمه بوضوح، ويترسخ في نفسه كما هو في نفس المتكلم، مع وجود صورة مقبولة وعرض

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٤.
(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر الجوهري، ٤/ ١٣١٦.
(٣) ينظر: البلاغة العربية: ١٢٩.
(٤) ينظر: المصدر نفسه، ١٢٩.
(٥) تفسير القرآن الكريم وإعرابه: ٢/ ٥١٢.
(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٥١٢.
(٧) معجم اللغة العربية المعاصرة: ١/ ٣٨٧.

حسن"[١]. بمعنى آخر، البلاغة هي أن يصل الكلام إلى السامع بوضوح، فيفهمه ويتأثر به، ويترسخ المعنى في نفسه كما هو في نفس المتكلم، بأسلوب جميل وعرض جذاب.[٢]

٤- عبد العزيز عتيق (ت: ١٤٢٣ هـ) يعرف البلاغة بأنها: "وضع الكلام في موضعه من طول وإيجاز، وأداء المعنى أداءً واضحًا بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثر خلاب، مع ملاءمة كل كلام للمقام الذي يُقال فيه وللمخاطبين به".[٣] ، وبناءً على هذا التعريف، فإن البلاغة تكمن في في اختيار طول الكلام بعناية، بحيث لا يكون إسهاباً مملًا ولا إيجازًا مخلًا، ليصل المعنى بوضوح دون تكرار أو حشو، جمال البلاغة يظهر في توازنها بين الطول الذي يُفصل المعنى ويوضحه، والإيجاز الذي ينقل الفكرة بسرعة وبدقة، مما يجعل الكلام مؤثرًا ومناسبًا للمقام والمخاطبين.[٤]

٥- أحمد الهاشمي (ت: ١٤١٦ هـ) يقول: "البلاغة في الكلام مطابقة لما يقتضيه حال الخطاب مع فصاحة ألفاظه مفردها ومركبها"[٥] أحمد الهاشمي يريد من خلال تعريفه هذا أن نعي أن البلاغة تعني اختيار مفردات وجمل فصيحة سليمة لا يعتريها أخطاء لغوية كانت أم أسلوبية، مناسبة لمقتضى حال من تتحدث معه، مع تأثيرها فيه[٦]. ونظرًا لتكرار مفردة الفصاحة كثيرًا، يجب علينا تعريفها: فالفصاحة هي سلامة المفرد من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس.[٧]

ثانيًا: تعريف الأسلوب لغة واصطلاحًا

أ- الأسلوب لغة

الأسلوب في اللغة هو النهج الذي يُستخدم للتعبير عن المعاني من خلال الكلمات والتراكيب، وأن أهمية الأسلوب تكمن في التأثير بالمتلقي وتوصيل الأفكار بوضوح.

(١) الصناعتين: ١٠.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٠.
(٣) علم المعاني، عبد العزيز عتيق: ١٠.
(٤) ينظر: المصدر نفسه، ١٠.
(٥) جواهر البلاغة: ٤٠.
(٦) ينظر: جواهر البلاغة: ٤٠.
(٧) التحبير شرح التحرير: ٤١٨٠/٨.

١- ابن منظور (ت: ٧١١هـ) يقول: " يُقال للسطر من النخيل أسلوب، وكل طريق ممتد يُسمى أسلوبًا. ويعني الأسلوب أيضًا الطريق والوجه والمذهب، فيقال: أنتم في أسلوب سوء. ويجمع على أساليب. والأسلوب – بالضم – يعني الفن، فيقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي في أفانين منه."[١] من هذا التعريف يتضح أن كلمة "أسلوب" لها معانٍ متعددة؛ فهي تدل على الطريق أو النهج الذي يسير عليه الإنسان، كما تشير إلى فن طريقة الكلام. فقد تتنوع طرق التعبير في الحديث وتختلف من شخص لآخر. وعندما قال ابن منظور: " أخذ فلان في أساليب من القول"، قصد أن المتحدث يستخدم طرقًا وأساليب متنوعة في التعبير عن أفكاره.[٢]

٢- لويس معلوف (ت: ١٣٧٥ هـ) يقول: "الأسلوب هو أساليب الطريق والفن من القول أو العمل، والشموخ في الأنف، ومنه أنفة في أسلوب، أي: لا يلتفت يمينًا ولا يسارًا."[٣] ، فالشخص الذي يمتاز بالأنفة في أسلوبه، أي: عزة وحمية، هو الذي يظل ثابتًا على موقفه وطريقته، فلا يعنيه طرائق الآخرين وأساليبهم.[٤]

٣- وقد أعجبني مرتضى الزبيدي (ت: ١٢٠٥ هـ) عندما قال: "ومن المجاز: الأسلوب: (الشموخ في الأنف)، وإن أنفه لفي أسلوب،[٥] إذا كان متكبرًا لا يلتفت يمينًا ولا يسارًا .

ب - الأسلوب اصطلاحاً

١- جاء في معجم المصطلحات العربية "الأسلوب بوجه عام هو طريقة الإنسان في التعبير عن نفسه كتابة، وهذا هو المعنى المشتق من الأصل اللاتيني للكلمة الأجنبية التي تعني 'القلم'.

(١) لسان العرب، ابن منظور: ٤٧/١.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٤٧.
(٣) المنجد في اللغة: ٣٤٣.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٣٤٣.
(٥) تاج العروس من جواهر القاموس: ٣/ ٧٢.

وفي كتب البلاغة اليونانية القديمة كان الأسلوب يُعتبر إحدى وسائل إقناع الجماهير، وكان يندرج تحت علم الخطابة، وخاصة الجزء المتعلق باختيار الكلمات المناسبة لمقتضى الحال."[١]. يعني هذا أن الأسلوب في البلاغة اليونانية، كان الأسلوب جزءًا من علم الخطابة، إذ يُستخدم لإقناع الجماهير من خلال اختيار الكلمات المناسبة في المواقف المناسبة.[٢]

٢- يقول أحمد مطلوب (ت: ١٤٣٧ هـ): "فمصطلح 'أسلوب' هو مصطلح حديث يقصد طريقة التعبير الخاصة بالأديب.[٣]، ويعني الأسلوب أيضًا طريقة التعبير التي يستخدمها الأشخاص لينفِّسوا عن مشاعرهم وما يجول في أفكارهم، سواء بالكلام أو الكتابة. وهذه طريقة خاصة بالأديب.[٤]

٣- محمد صالح الشنطي (ت: ١٤٢٠ هـ) يقول: "الأسلوب في أبسط تعريف له هو المنحى الخاص الذي ينتهجه الكاتب في التعبير عما يريد الإفصاح عنه، ولا يصبح الكاتب أديبًا إلا إذا كان له أسلوبه الخاص"[٥]، فالأسلوب هو الطريقة التي يختارها الكاتب ليتحدث بها عما يجول في خاطره. فتميّز الكاتب لا يكمن في نقل أفكاره فحسب، بل بتنظيمها تنظيمًا خاصًا يميّزه عن غيره. فالأسلوب هو جزء مهم من شخصية الكاتب؛ فهو ما يعكس تفرده في الإبداع .

ثالثًا: علم المعاني

١- عرف محمد بن عبد الرحمن الشافعي (ت: ٦٨٤هـ) علم المعاني بأنه: "علم يُعرف به أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال."[٦]

---

(١) علوم البلاغة، محمد أحمد قاسم، الدكتور محيي الدين ديب: ٣٨.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣٨.
(٣) أساليب بلاغية، أحمد مطلوب: ٦١.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٦١.
(٥) فن التحرير وضوابطه وأنماطه:٥٧.
(٦) الإيضاح في علوم البلاغة: ١/ ٥٣.

٢- ولقد فصّله حسن إسماعيل (ت: ١٤٢٩هـ) في كتابه حين قال: وأحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال هي: ما يعرض له من تقديم، وتأخير، وتعريف، وتنكير وغير ذلك. (علم النحو) قد درس أحوال التقديم والتأخير، والتعريف والتنكير وغيرها مما يدرسه علم المعاني، ولكنه قد درسها من ناحية أخرى، فقد درس جواز التقديم وامتناعه ووجوبه، وكذلك جواز الحذف وامتناعه ووجوبه، وأنواع التعريف وأحكام التنكير. لكنه لم يتناولها من حيث وقوعها مطلبًا بلاغيًا يقتضيه المقام وتدعو إليه الحال، وهذا هو الفرق بين البلاغة والنحو: موضوعات البلاغة تبحث في علم النحو، ولكن النحو يبحثها من حيث الصحة وعدمها، بينما البلاغي يبحثها من حيث مطابقتها لأحوال السامعين.[١]، ومن هنا نفهم أن علم النحو يدرس الظواهر اللغوية (مثل التقديم والتأخير، التعريف والتنكير) من حيث صحتها أو خطئها وفقًا للقواعد، أما علم المعاني فيدرس هذه الظواهر نفسها ولكن من حيث تأثيرها البلاغي ومدى مناسبتها لمقتضى الحال.[٢]

٣- أحمد الهاشمي (ت: ١٣٦٤ هـ) يعرف علم المعاني بأنه: "أصول وقواعد يُعرف بها أحوال الكلام العربي التي يكون بها مطابقًا لمقتضى الحال، بحيث يكون أفق الغرض الذي سيق له."[٣]. ركز التعريف هذا على تركيب الكلام واستخدامه في المقام المناسب.[٤]

٤- وقد شرح حامد عوني (ت: ١٣٩٢هـ) في كتابه المراد بالأصول والقواعد حين قال: "والمراد بالأصول والقواعد: المسائل الكلية لهذا العلم، كقولهم: المنكر يُلقى إليه الكلام مؤكدًا، وخالي الذهن يُلقى إليه الكلام خلوًا من التأكيد، والذكي يُلقى إليه الكلام موجزًا، والغبي يُلقى إليه الكلام مُطَنَّبًا،

(١) ينظر: البلاغة الصافية: ١/ ٨٨.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١/٨٨.
(٣) جواهر البلاغة: ١/ ٤٧.
(٤) ينظر: المصدر نفسه:١/ ٤٧.

وهكذا."[١]. وهذا يعني أن المتلقيين فئات، وكل فئة تحتاج إلى طريقة خاصة لإيصال المعلومة لها بشكل يناسبها.[٢]

٥- وعندما عرف السكاكي (ت: ٦٢٦هـ) علم المعاني قال: "هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليُحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال."[٣]

٦- شرح عبد العزيز عتيق (ت: ١٤٢٣ هـ) في كتابه: "فهو، مثلاً، في هذا التعريف لا يقصد 'بتراكيب الكلام' مطلق تراكيب، وإنما يقصد تراكيب البلغاء، لا التراكيب الصادرة عن من لا حظ لهم من البلاغة، وهو كذلك يقصد 'بخواص التراكيب' ما يسبق إلى الفهم منها عند سماعها لكونها صادرة عن البليغ. كما يقصد أيضًا 'بالإفادة': 'الفهم' من قبل ذي الفطرة السليمة."[٤]. إذن، هو يقصد تراكيب البلغاء، وليس أي تركيب للكلمات في جمل. فهو يريد تلك التراكيب المبنية على بلاغة وفصاحة، مع شرط التأثير في من يسمعها.

رابعاً: الخبر والإنشاء

١- قال يحيى بن حمزة (ت. ٧٤٩هـ) في كتابه: "اعلم أن الخبر والإنشاء متضادان؛ لأن الخبر ما كان محتملاً للصدق والكذب، والإنشاء ما ليس يحتمل صدقًا ولا كذبًا، فلا يجوز في صيغة واحدة أن تكون حاملة إنشاءً وخبرًا لما ذكرناه من تناقض بينهما، ولكن قد ترد صيغة الخبر والمقصود بها الإنشاء."[٥]

(١) المنهاج الواضح للبلاغة: ٢/ ٥.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢/٥.
(٣) مفتاح العلوم، السكاكي: ١٦١.
(٤) علم المعاني، عبد العزيز عتيق: ٦١/١.
(٥) الطراز لأسرار البلاغة: ١٦٢/٣.

٢- وقال أحمد مطلوب (ت. ١٤٣٧ هـ) في كتابه: الإنشاء هو كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته؛ لعدم وجود مدلول لفظه قبل النطق به في الواقع الخارجي ليطابقه أو لا يطابقه[١], وقد اعتمد العلماء هذا التعريف عندما أرادوا الفصل بين الخبر والإنشاء.[٢]

٣- وفي هذا السياق، قال القزويني (ت. ٧٣٩هـ) في كتابه: ووجه الحصر أنّ الكلام إما خبر أو إنشاء، لأنّه إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه، أو لا يكون لها خارج. الأول الخبر، والثاني الإنشاء.[٣] وبعبارة أخرى، الإنشاء لا يعكس واقعًا يُحكم عليه بالصدق أو الكذب، بل نستخدمه للتعبير عن طلب أو أمر أو تعجب, أما الخبر فيعكس واقعًا يمكن الحكم عليه بالصدق أو الكذب، وهو يُستخدم لنقل المعلومات وتقييمها.[٤]

٤- وقال حسن بن إسماعيل في كتابه : "ينقسم الإنشاء إلى قسمين:

أ - طلبي: وهو ما يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب؛ وهو المقصود بالدراسة ههنا.

ب - غير طلبي: هو ما لا يستدعي مطلوبًا؛ وهو غير مقصود بالدراسة هنا، وذلك لقلة المباحث البلاغية المتعلقة به، ولأن أكثر أنواعه – في الأصل- أخبار نُقلت إلى معنى الإنشاء, ومنه: التعجب، والمدح، والذم، والقسم، وأفعال الرجاء، وكذلك صيغ العقود."[٥].

٥- أما عبد العزيز عتيق (ت. ١٤٢٣ هـ) فقال في كتابه: "وأهم أنواع الإنشاء الطلبي خمسة: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء"[٦], نقول ذلك لأن من أنواع الإنشاء الطلبي أيضًا: العرض والتحضيض، ولكن الأنواع الخمسة الأولى أكثر شيوعًا في المباحث البلاغية.

(١) ينظر: أساليب بلاغية، أحمد مطلوب: ١٠٧/١.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٧/١.
(٣) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني: ٥٧/١.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٥٧/١.
(٥) البلاغة الصافية: ١٩٧.
(٦) علم المعاني، عبد العزيز عتيق: ٧٤/١.

خامسا: التعريف بسورتي المزمل والمدثر

أ - التعريف بسورة المزمل

اعلم أن "سورة المزمل هي سورة مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر"[١] " وقال ابن عطية هي في قول الجمهور مكية، إلا قوله تعالى: "إِنَّ ربَّك يعلمُ أنك تقومُ أدنى من ثلثي الليل"[٢] إلى نهاية السورة، فذلك مدني[٣] " وهي ثمانمائة وثلاثون حرفًا، ومئتان وخمس وثمانون كلمة، وعشرون آية في الكوفي"[٤]. أما ترتيبها في النزول على النبي (صلى الله عليه عليه وسلم)، فهي" السورة الثالثة أو الرابعة، إذ يرى بعضهم أنه لم يسبقها في النزول سوى سورتي العلق والمدثر، بينما يرى آخرون أنه لم يسبقها سوى سور العلق، ونون، والمدثر"[٥]. "وهي السورة رقم ثلاثة وسبعون في ترتيب المصحف"[٦] "قال المهايمي: سميت به لدلالته على عظم أمر الوحي، لأن أقوى الخلائق كان يرتعد عنده فيتزمل"[٧] مناسبتها لما قبلها ختمت سورة الجن بذكر الرسل في قوله تعالى: "لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ"، وافتتحت سورة المزمل بالحديث عن خاتمهم محمد (صلى الله عليه وسلم)[٨]. وللسورة أغراض هي ملاطفة الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وسلم) بندائه بصفة التزمل والأمر بقيام الليل في بداية الدعوة، ثم التخفيف منه مراعاة للأعذار و الأمر بالإعراض عن المكذبين، وتهديدهم بعذاب الآخرة. ذكر أهوال يوم القيامة، وضرب المثل بقوم فرعون الذين كذبوا الرسل فحل بهم العذاب[٩].

ب - التعريف بسورة المدثر

(١) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: ١٩/١٣.

(٢) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

(٣) التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور: ٢٥٢/٢٩.

(٤) البستان في إعراب مشكلات القرآن، أحمد بن أبي بكر بن عمر الجبلي المعروف بابن الأحنف اليمني: ١١٩/٤ ١١٩/٤

(٥) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي: ١٤٩/١٥.

(٦) الجامع لأحكام القرآن: ٢٧٨/١٦.

(٧) محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي: ٣٤٠/٩.

(٨) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزجيلي: ١٨٧/٢٩٠

(٩) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٥٥/٢٩.

سورة المدثر "هي سورة مكية في قول الجميع"[١] "وهي ألف وعشرة أحرف، ومئتان وخمس وخمسون وخمسون آية"[٢] "ترتيبها في القرآن أربع وسبعون، وترتيبها في النزول الرابعة"[٣].

وقال جابر بن زيد: "نزلت بعد المدثر سورة الفاتحة". ولا شك أن سورة المدثر نزلت قبل المزمل وأن عناد المشركين كان قد تزايد بعد نزول سورة المدثر، فكان التعرض لهم في سورة المزمل أوسع"[٤].

"سميت سورة المدّثر لافتتاحها بهذا الوصف الذي وصف به النبي (صلى الله عليه وسلم)، وأصل المدثر المتدثر: وهو الذي يتدثر بثيابه لينام أو ليستدفئ والدثار: اسم لما يتدثر به".[٥] "أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بدعوة الخلق إلى الإيمان، وتقرير صعوبة القيامة على أهل الكفر والعصيان، وتهديد الوليد بن المغيرة الذي منحه الله مالا وفيرا، وعشرة من البنين، وبسط له في العيش لكنّه قابل هذه النعم بالجحود والعناد.[٦] نفهم من هذا أن السورة تتحدث عن أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بدعوة الخلق إلى الإيمان، وتقرير صعوبة القيامة على الكافرين، وتهديد الوليد بن المغيرة الذي أنعم الله عليه بمال وفير وبنين، لكنه واجه هذه النعم بالجحود والاستهزاء برسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فأنذره الله بعذاب "سقر"[٧].

مناسبتها لما قبلها تتفق السورتان في افتتاحهما بنداء النبي (صلى الله عليه وسلم)، صدر كلتيهما نازل في قصة واحدة، وقد نزلت المدثر عقب المزمل، السورة السابقة بدأت بالأمر بقيام الليل (التهجد) وهو إعداد لنفسه ليكون داعيًا، وهذه السورة بدأت بالأمر بإنذار الغير، وهو إفادة لغيره في دعوته[٨].

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١٩/ ٥٩.
(٢) البستان في إعراب مشكلات القرآن :٤ / ١٤١.
(٣) تفسير القرآن الجامع، محمد هلال :٢٩ / ٢٣٥.
(٤) التحرير والتنوير :٢٩ / ٢٩٢.
(٥) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: ٢١٥/٢٩.
(٦) الموسوعة القرآنية، جعفر شرف الدين: ١٠ /٢٣٦.
(٧) ينظر: المصدر نفسه: ١٠ /٢٣٦.
(٨) ينظر: التفسير المنير٢١٥.

المبحث الأول

أسلوب الأمر في سورة المزمل

قال تعالي: " يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) "[١] هما من بداية سورة المزمل جاء هذا النداء موجّهًا إلى النبي محمد، يأمره الله بقيام الليل للصلاة والتعبد، وذلك استعداداً له لكي يتحمل أعباء الرسالة العظيمة. فقيام الليل كان وسيلة لتقوية وتثبيت الإيمان، و تهيئة النفس لمواجهة التحديات التي ستعترض طريق الدعوة بعد الخطاب الأول له: " يا أيها المزمل" ابن عاشور موضحاً دلالة فعل الأمر "قُم": وَفِعْلُ قُمِ مُنَزَّلٌ مَنْزِلَةَ اللَّازِمِ فَلَا يَحْتَاجُ إلى تَقْدِيرِ مُتَعَلِّقٍ لِأَنَّ الْقِيَامَ مُرَادٌ بِهِ الصَّلَاة، فَهَذَا قيام مُغَايِرٌ لِلْقِيَامِ الْمَأْمُورِ بِهِ فِي سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ بِقَوْلِهِ" قُمْ فَأَنْذِرْ "[٢]، فَإِنَّ ذَلِكَ بِمَعْنَى الشُّرُوعِ كَمَا يَأْتِي هُنَالِكَ.[٣] نفهم من ابن عاشور وكلامه أن فعل الأمر لازم لا يحتاج إلى إلى مفعول به ليتمم المعنى، لأن القيام المطلوب من الرسول (صلى الله عليه وسلم) هنا للعبادة والصلاة ليس من أجل النهوض، ويبدأ ابن عاشور بعدها بمقارنة دلالة فعل الأمر "قُم" في سورة المدثر بقوله "قُم فَأَنْذِرْ" بدلالته في سورة المزمل **"قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا"** فيرى أن دلالة الأول بمعنى الشروع في العمل.

أما الثاني فالقيام من أجل الصلاة والعبادة في الليل، وأن جميع الأوامر في السورتين جاءت بصيغتها الصريحة، وهذا يعني أن توجيهات الإله ينبغي لها أن تكون بأوامر مباشرة، لأن فعل الأمر جاء بصيغته الصريحة. فالغرض الأصلي منه الوجوب لأن التكليف بقيام الليل كان واجبًا

(١) سورة المزمل، الآيتان: ١-٢.

(٢) سورة المدثر، الآية: ٢.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٥٧/٢٩.

ثم نسخ بالصلوات الخمس[١] ونجد ان سبب النسخ بالصلوات الخمس قولة تعالى "**عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضرِبُونَ فِي ٱلأَرضِ يَبتَغُونَ مِن فَضلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ**"[٢] ويدعم كلامي ما قاله مجير الدين العليمي عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فيثقل عليهم قيام الليل، و"أَنْ" مخففة من الثقيلة؛ أي: علم أنه سيكون. وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يسافرون للتجارة يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ أي: رزقه وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أي: يجاهدون لا يطيقون قيام الليل[٣] نفهم من هذا كله أن الرسول كان يقوم الليل مع أصحابه من المؤمنين ويشر أن الله يعرف مشقته عليهم فخفف عنهم هذا التكليف بالصلوات الخمسة المفروضة مبينًا علة هذا النسخ بوجود المرضى العاجزون عن هذا الفعل والمسافرين لغرض التجارة يبتغون بها رزق الله، والمجاهدين يقاتلون في سبيل الله[٤]، للبيضاوي إشارة في معنى الليل وقيامه حين قال "قُمِ اللَّيْلَ" أي قم إلى الصلاة، أو داوم عليها فيه[٥]، قوله تعالى: (إِلَّا قَلِيلًا) استثناءٌ من الليل، أي صلِّ الليل كله إلا يسيرًا منه، لأن قيام جميعه على الدوام غير ممكن، فاستثني منه القليل لراحة الجسد. والقليل من الشيء ما دون النصف.[٦] أي أن الليل كله صلاة إلا جزءًا يسيرًا منه، لأن قيام الليل كله باستمرار أمر شاق وصعب علينا.

فكان هذا الجزء المستثنى فرصة يرتاح فيها البدن، وقد حدد المفسر القليل بأنه ما يقل عن النصف[٧] اما عن سبب نزولها قال الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ) "والجمهور على أنه صلى الله تعالى

(١) ينظر: المصدر نفسه:٢٥٧.
(٢) سورة المزمل، الآية: ٤.
(٣) فتح الرحمن في تفسير القرآن، مجير الدين العليمي: ٢٠٠/٧.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢٠٠.
(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي: ٢٥٥/٥.
(٦) الجامع لأحكام القرآن:٣٤/١٩.
(٧) ينظر: المصدر نفسه:٣٤.

عليه وسلم لما جاءه الملك في غار حراء وحاوره بما حاوره رجع إلى خديجة رضي الله تعالى عنها فقال: زملوني زملوني، فنزلت يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ وعلى أثرها نزلت "**يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ**"[١]، فالزمخشري يقول ويفصل كيف نزل الوحي على الرسول وكيف تزمل، دخل على خديجة، وقد جاء في فرقًا أول ما أتاه جبريل وبوادره ترعد، فقال: "زملوني زملوني"، وحسب أنه عرض له، فبينا هو على ذلك، إذ ناداه جبريل: "يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ". وعن عكرمة: أن المعنى: "يَا أَيُّهَا الَّذِي زَمَّلَ أَمْرًا عَظِيمًا" أي: حمله. والزمل: الحمل. وازدمله: احتمله.[٢]، "وقوله "بوادره" جمع بادرة، وهي اللحمة بين المنكب والعنق ترجف عند فزع الإنسان. قوله: "زملوني" من التزميل، وهو: التلفيف، وطلب ذلك ليسكن ما حصل له من الرعدة من شدة هول الأمر وثقله".[٣] وإذا أردنا أن نربط هذه الآية بالآية التي قبلها "يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ"[٤] نجد أن الآية الأولى تشير إلى حالة النبي من التزمل والالتفاف نتيجة نتيجة رهبة الوحي والثقل المسؤولية، فجاءت الآية الثانية تأمر بالقيام وترك التزمل والاستعداد من أجل تبليغ الرسالة الإلهية.

قال تعالى: "نِّصفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُص مِنهُ قَلِيلًا **ثم**"[٥] فقد وردت الآية الكريمة مكملة للآية التي قبلها فقد وردت بأسلوبين بلاغيين وهما الأمر والأطنان بأداة التخيير، إذ أمر الله – سبحانه وتعالى نبيه بقيام جزء من الليل وهو النصف او اقل منه بقليل، بسبب انشغال النبي ﷺ بها، فقد لاقى الرسول توجيهاً ربانياً في مسألة قيام، يفصل ابن عاشور في هذا بقوله: قم الليل إلا قليلا نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلا، ونِصْفَهُ بَدَلٌ مِنْ قَلِيلًا بَدَلًا مُطَابِقًا وَهُوَ تَبْيِينٌ لِإِجْمَالِ قَلِيلًا فَجَعَلَ الْقَلِيلَ هُنَا النِّصْفَ أَوْ أَقَلَّ مِنْهُ بِقَلِيلٍ، وَفَائِدَةُ هَذَا الْإِجْمَالِ الْإِيمَاءُ إلى أَنَّ الْأَوْلَى أَنْ يَكُونَ الْقِيَامُ أَكْثَرَ مِنْ مُدَّةِ نِصْفِ اللَّيْلِ وَأَنَّ جَعْلَهُ نِصْفَ اللَّيْلِ رَحْمَةٌ وَرُخْصَةٌ لِلنَّبِي (صلى الله عليه وسلم)، وَيَدُلُّ لِذَلِكَ تَعْقِيبُهُ بِقَوْلِهِ: أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَيْ انْقُصْ مِنَ النِّصْفِ قَلِيلًا، فَيَكُونُ زَمَنُ قِيَامِ اللَّيْلِ

(١) ينظر: الأساس في التفسير، سعيد حوى، ٦٢١٢/١١.
(٢) ينظر: الكشاف، محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري:٦٣٦/٤.
(٣) صحيح البخاري، أحمد علي السهارنفوري: ٢٠٢/١٠.
(٤) سورة المدثر، الآية: ١.
(٥) سورة المزمل، الآية: ٣.

أَقَلَّ مِنْ نِصْفِهِ، وَهُوَ حِينَئِذٍ قَلِيلٌ فَهُوَ رُخْصَةٌ فِي الرُّخْصَةِ،[١] ابن عاشور يرى أن الله – سبحانه وتعالى ذكر القليل أولًا ولم يُحدد زمنًا معينًا لقيام الليل، وفي هذا إشارة إلى أن أفضل شيء في قيام الليل أكثر من نصفه، ولكن أراد الله –عزّ وجل التخفيف على نبيه الكريم بقوله: "أو انقص منه قليلًا"، أي: يمكنك يا أيها النبي أن تنقص من النصف قليلًا، فيكون قيامك أقل من نصف الليل، أما حديثه عن رخصة في رخصة، فيعني أن الله خفّف على نبيه مرتين لكي لا يشق عليه[٢]، فالزمخشري عندما تحدث عن دلالة فعل الأمر انقص قال" والمعنى: التخيير بين أمرين، بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البت، وبين أن يختار أحد الأمرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه، وكان تخييراً بين ثلاث: بين قيام النصف بتمامه، وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه"[٣]، وهنا في الآية تخير بين نصف الليل أو النقصان عليه قليلا، وهذا الفعل جاء بصيغته الصريحة، ومع ذلك أفاد التخيير لم يفد الوجوب وأنه خرج إلى غرض التخيير والتخفيف كذلك[٤]، قَالَ تعالى: **(**نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا**)**[٥] فَكَانَ ذَلِكَ تَخْفِيفًا، إِذْ لَمْ يَكُنْ زَمَانُ الْقِيَامِ مَحْدُودًا، فَقَامَ النَّاسُ حَتَّى وَرِمَتْ أَقْدَامُهُمْ، ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تعالى: **عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ**[٦]، **تُحْصُوهُ**[٦]، وَقَالَ الْأَخْفَشُ: نِصْفَهُ أَيْ أَوْ نِصْفَهُ، يُقَالُ: أَعْطِهِ دِرْهَمًا دِرْهَمَيْنِ ثَلَاثَةً: يُرِيدُ: أَوْ دِرْهَمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً.[٧]، نفهم من هذا كله أن فعل الأمر انقص في سياق هذه الآية خرج إلى معنى التخيير حتى يكون هناك تخفيف، وعلى الرغم من هذا فإن صيغة هذا الأمر تكون صريحة من ناحية الشكل.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٩٥٩.
(٢) ينظر: المصدر نفسه:٩٥٩.
(٣) الكشاف: ٦٣٦/٤.
(٤) ينظر: المصدر نفسه:٦٣٦.
(٥) سورة المزمل، الآية: ٣.
(٦) سورة المزمل، الآية: ٢٠.
(٧) الجامع لأحكام القران: ١٩/ ٣٥.

قال تعالى: " أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا "[١] هذه الآية جاءت مكملة لتوجيهات الله –عز وجل للنبي (صلى الله عليه وسلم) بشأن العبادة والاستعداد لتبليغ الرسالة، تحدث ابن عاشور عن دلالة فعل الأمر" زد" حين قال" أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَهُوَ عَوْدٌ إلى التَّرْغِيبِ فِي أَنْ تَكُونَ مُدَّةُ الْقِيَامِ أَكْثَرَ مِنْ نِصْفِ اللَّيْلِ وَلِذَلِكَ لَمْ يُقيد أَوْ زِدْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا قَيَّدَ بِهِ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ لِتَكُونَ الزِّيَادَةُ عَلَى النِّصْفِ مُتَّسِعَةً، وَالتَّخْيِيرُ الْمُسْتَفَادُ مِنْ حَرْفِ أَوِ مَنْظُورٌ فِيهِ إلى تَفَاوُتِ اللَّيَالِي بِالطُّولِ وَالْقِصَرِ لِأَنَّ لِذَلِكَ ارْتِبَاطً بِسَعَةِ النَّهَارِ لِلْعَمَلِ وَلِأَخْذِ الْحَظِّ الْفَائِتِ مِنَ النَّوْمِ، وَبَعْدُ فَذَلِكَ تَوْسِيعٌ عَلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) لِرَفْعِ حَرَجِ تَحْدِيدِهِ لِزَمَنِ الْقِيَامِ فَسُلِكَ بِهِ مَسْلَكَ التَّقْرِيبِ[٢] دلالة فعل الأمر عنده يحمل معنى الترغيب بالزيادة وهو في ذات الوقت يشير إلى معنى التخيير بدلالة حرف التخيير "أو" بما يناسب استطاعة النبي واختلاف الليل من قصر وطول فهو زيد العبادة دون تحديد معين، أما في النقصان فقال قليلاً[٣]، **"وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا"** اقرأه على تؤدة وبين حروفه بحيث يتمكن السامع من عدها من قوله ثغر رتل ورتل إذا كان مفلجاً"[٤] إذاً، البيضاوي يفسر "رتل القرآن ترتيلاً" بأنه يجب أن يُقرأ القرآن بشكل متأنٍ وواضح، بحيث يمكن للمستمع أن يفهم كل حرف ويتمكن من تمييزه بسهولة[٥] وشرح أحمد مختار معنى رتل، فقال" رتَّلَ يُرتِّل، ترتيلاً، فهو مُرتِّل، والمفعول مُرتَّل• رتَّل القارئُ القُرآنَ: جوَّد تلاوتَه وتأنَّق فيها ولم يعجل " **{وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً}** " المُصحف المُرتَّل: القُرآن المجوَّد بدون تغنٍّ أو تلحين– رتَّل على مسامعكم: تعبير إذاعي يَتْبَع قراءة القرآن. رتَّل الكلامَ: أحسن تأليفه وجوَّده، رتَّل اللهُ القرآنَ: أنزله مقسّمًا على حسب الأسباب في تؤدة وتمهّل"[٦] ابن منظور شرح معنى ثغر بقوله" وثَغْرٌ رَتَلٌ ورَتِلٌ: حَسَن التَّنْضِيدِ مُستوي النباتِ، وَقِيلَ المُفَلَّج، وَقِيلَ بَيْنَ أَسنانه فُروج لَا يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا "[٧]، نفهم

(١) سورة المزمل، الآية: ٤.
(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٥٩/٢٩.
(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٥٩/٢٩.
(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢٥٥/٥.
(٥) ينظر: المصدر نفسه:٢٥٥.
(٦) معجم اللغة العربية المعاصرة: ٨٥٥/٢.
(٧) لسان العرب، ابن منظور: ٢٦٥/١١

من هذا كله ان دلالة فعل الأمر "رتل" هي دعوة للقراءة ببطء وتانٍ مع توضيح الحروف وبيانها، مما يساعد على فهم وتدبر المعاني بشكل أعمق. و كلا الفعلين من "رتل" ، "زد" أفعال أمر صريحة، تدل على طلب القيام بفعل أو لتوجيه معين.

الآية "**وأذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا** "[١] هي تأتي بعد مجموعة توجيهات أمر الله بها نبيه، ومنها قيام الليل وتلاوة القرآن بتدبر وتمعن. تحدث البيضاوي عن معنى الآية بشكل عام قائلاً: "واذكر اسم ربك ودم على ذكره ليلاً ونهاراً، وذكر الله يتناول كل ما يذكر به من تسبيح وتهليل وتمجيد وتحميد وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم. وتبتل إليه تبتيلا: وانقطع إليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه"[٢] وتكلم أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي عن هذا بقوله: التَّبَتُّلُ: الِانْقِطَاعُ إلى عِبَادَةِ اللَّهِ – عَزَّ وَجَلَّ، أَيِ انْقَطِعْ بِعِبَادَتِكَ إِلَيْهِ، وَلَا تُشْرِكْ بِهِ غَيْرَهُ. يُقَالُ: بَتَلْتُ الشَّيْءَ أَيْ قَطَعْتُهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: طَلَّقَهَا بَتَّةً بَتْلَةً، وَهَذِهِ صَدَقَةٌ بَتَّةٌ بَتْلَةٌ، أَيْ بَائِنَةٌ مُنْقَطِعَةٌ عَنْ صَاحِبِهَا، أَيْ قُطِعَ مِلْكُهُ عَنْهَا بِالْكُلِّيَّةِ، وَمِنْهُ مَرْيَمُ الْبَتُولُ لِانْقِطَاعِهَا إلى اللَّهِ تعالى، وَيُقَالُ لِلرَّاهِبِ مُتَبَتِّلٌ، لِانْقِطَاعِهِ عَنْ النَّاسِ، وَانْفِرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ.[٣]، أما عن محمد الطاهر ابن عاشور أنه قال "قُصِدَ "قُصِدَ بِإِطْلَاقِ الأمر تَعْمِيمُهُ، أَيْ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ لَيْلًا وَنَهَارًا. وَالتَّبَتُّلُ: شِدَّةُ الْبَتْلِ، وَهُوَ مَصْدَرُ تَبَتَّلَ، يُقْصَدُ مِنْهُ الْمُبَالَغَةُ فِي الْفِعْلِ، وَهُوَ هُنَا الِانْقِطَاعُ الْمَجَازِيُّ، أَيْ تَفَرُّغُ الْبَالِ وَالْفِكْرِ لِمَا يُرْضِي اللَّهَ، فَكَأَنَّهُ انْقَطَعَ عَنِ النَّاسِ وَانْحَازَ إلى اللَّهِ."[٤]، يفهم من كلامه أن فعل الأمر "اذكر" جاء مطلقًا غير مقيد بزمان، مما يدل على وجوب الذكر في جميع الأوقات، ليلًا ونهارًا، واستمراريته دون انقطاع. وهذا الإطلاق في الأمر يفيد التعميم، أي أن الله – سبحانه لم يحدد وقتًا معينًا، بل جعله مفتوحًا ليكون الذكر مطلوبًا دائمًا. كما أن فعل الأمر هنا يدل على الإرشاد والتنبيه إلى أهميته، ويخرج إلى غرض مجازي وهو التعميم، فإن ابن عاشور قد توسع في تفسير هذه الآية

(١) سورة المزمل، الآية: ٨.
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢٥٦/٥.
(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤٤/١٩.
(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٦٥/٢٩.

بشكل مميز أن فعل الأمر "تبتل" دال على الانقطاع التام سواء فكريًا أو قلبيًا عن الاهتمامات الدنيوية والتفرغ الكامل لعبادة الله وحده، أما صيغة الفعل، يشير ابن عاشور إلى أن صيغة الفعل "تبتل" هي صيغة صريحة مجازية، بمعنى أن التبتل لا يعني الانقطاع الحرفي بمعناه الجسدي عن الناس، بل هو مجازي يتعلق بالقلب والعقل. لأنه حين يبتعد الإنسان عن الناس والتعلق بهم يصبح توجهه كاملاً نحو الله، والغرض المجازي الذي خرج إليه فعل الأمر: "تبتل" هو الانقطاع المجازي مع المبالغة في الانقطاع، وكان هذا الانقطاع من شدته بدا وكأنه ليس ذاتيًا بل هناك من أمر به فطاوعه.(١)

قال تعالى: "**رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا** "(٢) أكملت هذه الآية الكريمة التوجيهات التي وجه الله تعالى بها نبيه إلى التوكل على الله وعبادته وحده لا شريك له. وتأتي بعد الصبر على ما يقوله المشركون، وقبل الانقطاع لله والتبتل، أي التفرغ لعبادته وحده، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي في الحديث عن المعنى العام لهذه الآية قال: "وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ (رَبِّ الْمَشْرِقِ) وَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ رَبُّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ انْقَطَعَ بِعَمَلِهِ وَأَمَلِهِ إِلَيْهِ. (فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا) أَيْ: قَائِمًا بِأُمُورِكَ. وَقِيلَ: كَفِيلًا بِمَا وَعَدَكَ." (٣) باختصار، القرطبي يبين أن الآية تدعو إلى التوكل على الله، توكلاً تامًا لأنه هو الذي يدبر كل شيء وهو الذي يرى عباده بعناية فائقة. فعلينا توحيده بالعبادة ولا نشرك بها أحد غيره(٤) ابن عاشور فصل القول في دلالة هذا الفعل الأمري والغرض المجازي الذي خرج اليه حينما قال: عُقِّبَ وصفُ اللهِ بـ"ربُّ المشرقِ والمغربِ" بالإخبار عنه أو بوصفه بأنه "لا إله إلا هو" لأن تفرده بالألوهية نتيجة لربوبيته. فلما كانت ربوبيته للعالم لا ينازع فيها المشركون، أُعقِبَ هذا بما يبطل دعوى المشركين في تعدد الآلهة بقوله: "لا إله إلا هو"، تعريضًا بهم وإن كان الكلام مسوقًا للنبي (صلى الله عليه وسلم). ولذا فرّع عليه قوله: "فاتخذه وكيلًا"، إذ كان الأمر باتخاذ وكيلٍ سببًا لكونه "لا إله إلا هو"، فكان

(١) ينظر: المصدر نفسه:٢٦٥

(٢) سورة المزمل، الآية: ٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١٩/٤٥.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٤٥.

ذلك في قوة النهي عن اتخاذ وكيل غيره، لأن غيره لا يستحق ذلك. والوكيل هو من يفوّض إليه الأمور، وأهم ما يفوّض إليه أمر الانتصار لمن توكل عليه. وعندما بلغ النبي (صلى الله عليه وسلم) قول المشركين، اغتمّ لذلك، وقد رُوي أن ذلك سبب لتزمّله من الحزن، فأمره الله بعدم الاعتماد إلا عليه، وهذا تكفل بالنصر، ولذلك وصاه الله أن يصبر على ما يقولون.[١] دلالة فعل الأمر "اتخذ" دلالة مباشرة بالتوجيه والإرشاد للمسلم بالتوكل على الله في كل الأمور وتوحيده، وهناك غرض مجازي خرج إليه فعل الأمر "اتخذ" برأي ابن عاشور وهو التفويض الكامل لله خاصة في مسألة النصر والتوكل عليه، وإلغاء الاعتماد على غيره كالمشركين الذين أحزنوا الرسول، والتحذير من التوكل على غيره بدلالة النهي الموجود في الآية. أما عن صيغة هذا الفعل فهي صريحة وهو هنا لا يقتصر على مجرد الإخبار، بل توجيه مباشر للمخاطب والزامه باتخاذ الله وكيلًا في أموره، وهو توجيه إرشادي يتطلب تنفيذ فعل الاتخاذ.

قال تعالى: "وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلا "[٢] هي أمر من الله لنبيه محمد صل الله عليه وسلم بالصبر على كلام المشركين، سواء كان سبًّا أو استهزاءً أو تكذيبًا، وألّا يتأثر بذلك أو يترك دعوته بسببه، "وَاصْبِرْ عَلى مَا يَقُولُونَ أَيْ مِنَ الْأَذَى وَالسَّبِّ وَالِاسْتِهْزَاءِ، وَلَا تَجْزَعْ مِنْ قَوْلِهِمْ، وَلَا تَمْتَنِعُ مِنْ دُعَائِهِمْ. القرطبي يُوضّح أن الله يأمر نبيه محمدًا (صلى الله عليه وسلم) بالصبر على المشركين، وعلى إيذائهم له من سبٍّ وتكذيبٍ واستهزاء، وألا يجزع من ذلك أو يتأثر بكلامهم، مع الاستمرار في دعوتهم إلى – الله سبحانه.[٣] البيضاوي في تفسيره قال" واصبر على ما يقولون من الخرافات"[٤] أي تحمل ما يقوله المشركون من أكاذيب عنك وعن رسالتك لا تلتفت إليهم وإلى أقوالهم[٥] ابن عاشور عندما فسر هذه الآية أَنْ الصَّبْرَ عَلَى الْأَذَى يُسْتَعَانُ عَلَيْهِ

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٢٦٧/٢٩.
(٢) سورة المزمل، الآية: ١٠.
(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٤٥/١٩.
(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢٥٦/٥.
(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٢٥٦.

بِالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ. وَضَمِيرُ يَقُولُونَ عَائِدٌ إلى الْمُشْرِكِينَ، وَلَمْ يَتَقَدَّمْ لَهُ مُعَادٌ فَهُوَ مِنَ الضَّمَائِرِ الَّتِي اسْتُغْنِيَ عَنْ ذِكْرِ مُعَادِهَا بِأَنَّهُ مَعْلُومٌ لِلسَّامِعِينَ وَقَدْ مَضَى فِي السُّوَرِ الَّتِي نَزَلَتْ قَبْلَ سُورَةِ الْمُزَّمِّلِ مَقَالَاتُ أَذًى مِنَ الْمُشْرِكِينَ لِرَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَلِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ (صلى الله عليه وسلم) بِالصَّبْرِ عَلَى مَا يَقُولُونَ[١] ابن عاشور في التحرير والتنوير يوضح أن آية "واصبر على ما يقولون" تدعو النبي للصبر على أذى المشركين بكل أنواعه. ولفظ: "يقولون" فيه ضمير يعود على المشركين ولم يُصرح بذكرهم لأن السامع يفهم هذا من السياق. وهو يقول أيضًا أن الصبر على الأذى يكون بالتوكل على الله، لأن المشركين في الآيات السابقة قالوا العديد من الاتهامات بالكذب والسحر بحق نبينا الكريم، وهذا كله يوضح السياق التي وردت فيه هذه الآية، والغرض المجازي الذي خرج إليه فعل الأمر "اصبر" هو توجيه النبي وإرشاده نحو الثبات على الدعوة وعدم التأثر بما يقوله المشركون، إذ دلالته عنده طلب الله من نبيه أن يصبر على المشركين وإيذائهم من سب واستهزاء وتكذيب مع الاستمرار في الدعوة كما قلنا، وصيغة فعل الأمر هذه صريحة لأنها تدل على طلب مباشر لحصول فعل الصبر[٢].

وقوله: (وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد (صلى الله عليه وسلم): اصبر يا محمد على ما يقول المشركون من قومك لك، وعلى أذاهم، واهجرهم في الله هجرا جميلاً، ثم نسخت هذه الآية و أمر الرسول صل الله عليه وسلم بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، لا يقبل منهم غيرها[٣] الطبري في تفسيره لهذه الآية أراد أن يبين كيف أن الله يأمر النبي محمدًا بالصبر على ما يقوله المشركون، وأمره كذلك بهجرهم هجرًا جميلًا، أي خاليًا من الأذى. ويشير إلى بعض العلماء الذين قالوا إن هذا الحكم قد نُسِخ بعد نزول آيات القتال، لأن الهجر والصبر عليهم لم يعد كافيًا، بل أصبح القتال واجبًا حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ويدخلوا الإسلام. الهجر الجميل: أن يجانبهم بقلبه

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٦٨/٢٩.
(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٦٨/٢٩.
(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري: ٦٨٩/٢٣.

وهواه، ويخالفهم مع حسن المخالقة والمداراة والإغضاء وترك المكافأة.[١] وأوجز ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي حين قال وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلًا بأن تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكل أمرهم إلى الله، فالله يكفيكهم"[٢]، أما القرطبي فقال وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلًا أَيْ لَا تَتَعَرَّضْ لَهُمْ، وَلَا تَشْتَغِلْ بِمُكَافَأَتِهِمْ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَرْكَ الدُّعَاءِ إلى اللَّهِ.

وَكَانَ هَذَا قَبْلَ الأمر بِالْقِتَالِ، ثُمَّ أُمِرَ بَعْدُ بِقِتَالِهِمْ وَقَتْلِهِمْ، فَنُسِخَتْ آيَةُ الْقِتَالِ مَا كَانَ قَبْلَهَا مِنَ التَّرْكِ[٣] ابن عاشور يوضح معنى "الهجر الجميل" في الآية الكريمة بقوله: فَالْهَجْرُ الْجَمِيلُ هُوَ الَّذِي يَقْتَصِرُ صَاحِبُهُ عَلَى حَقِيقَةِ الْهَجْرِ، وَهُوَ تَرْكُ الْمُخَالَطَةِ فَلَا يَقْرِنُهَا بِجَفَاءٍ آخَرَ أَوْ أَذًى، وَلَمَّا كَانَ الْهَجْرُ ينشأ عَن بعض الْمَهْجُورِ، أَوْ كَرَاهِيَةِ أَعْمَالِهِ كَانَ معرّضا لِأَن يعتلق بِهِ أَذًى مِنْ سَبٍّ أَوْ ضَرْبٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ. فَأَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِهَجْرِ الْمُشْرِكِينَ هَجْرًا جَمِيلًا، أَيْ أَنْ يَهْجُرَهُمْ وَلَا يَزِيدَ عَلَى هَجْرِهِمْ سَبًّا أَوِ انْتِقَامًا. وَهَذَا الْهَجْرُ: هُوَ إِمْسَاكُ النَّبِيءِ (صلى الله عليه وسلم) عَنْ مُكَافَأَتِهِمْ بِمِثْلِ مَا يَقُولُونَهُ مِمَّا أَشَارَ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تعالى: وَاصْبِرْ عَلى مَا يَقُولُونَ، وَلَيْسَ مُنْسَحِبًا عَلَى الدَّعْوَةِ لِلدِّينِ فَإِنَّهَا مُسْتَمِرَّةٌ وَلَكِنَّهَا تَبْلِيغٌ عَنِ اللَّهِ تعالى فَلَا يُنْسَبُ إلى النَّبِيءِ (صلى الله عليه وسلم).[٤]، فهو بهذا يقول كيف أن النبي محمد أُمر أن يهجر المشركين فقط خاصة في حالة الإساءة فهو لا يردها بمثلها مع الاستمرار بالدعوة إلى الله دون انقطاع. دلالة فعل الأمر "اهجر" عند ابن عاشور هي الابتعاد عن المشركين مع عدم أيذائهم أو الانتقام منهم، أي هجراً خالياً من السبّ، مع استمرار الدعوة إلى الله. والغرض المجازي الذي خرج إليه الفعل "اهجر" هو التوجيه، إذ إنه يوجه إلى عدم المخالطة دون إساءة، مع الاستمرار في تبليغ الرسالة. "اهجر" فعل أمر صيغته صريحة، لأنه جاء بصيغة الأمر المباشرة التي تفيد الطلب.

(١) ينظر: المصدر نفسه:٦٨٩.
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢٥٦/٥.
(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٤٥/١٩.
(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٢١٦/٢٩.

قال تعالى: " وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا "[١] فيها يأمرُ اللهُ – سبحانهُ وتعالى نبيَّهُ بتركِ المكذِّبينَ من المشركينَ؛ لأنَّهُ سيتولَّى أمرَهم وعقابَهم بنفسِهِ، والمقصودُ بـ أُولِي النَّعْمَةِ هنا هم أصحابُ الترفِ الذينَ كانوا يستهزئونَ بالنبيّ، وأنَّ اللهَ سيمهلُهم قليلًا قبلَ أن يُنزِلَ عقابَهُ الشديدَ عليهم، فقد قالَ القرطبيُّ في تفسيرِهِ لهذهِ "أَيِ: ارْضَ بِي لِعِقَابِهِمْ. نَزَلَتْ فِي صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ وَرُؤَسَاءِ مَكَّةَ مِنَ الْمُسْتَهْزِئِينَ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: نَزَلَتْ فِي الْمُطْعِمِينَ يَوْمَ بَدْرٍ وَهُمْ عَشَرَةٌ. وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ فِي" الْأَنْفَالِ"[٢]. "وَقَالَ يَحْيَى بْنُ سَلَّامٍ: إِنَّهُمْ بَنُو الْمُغِيرَةِ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ أُخْبِرْتُ أَنَّهُمُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا أُولِي النَّعْمَةِ أَيْ أُولِي الْغِنَى وَالتَّرَفُّهِ واللذة في الدنيا"[٣] نفهمُ من هذا أنَّ اللهَ يأمرُ نبيَّهُ أنْ يرضى بعقابِهِ لهم؛ لأنَّهُ سيتكفَّلُ بحسابِهِم، ثمَّ يشيرُ إلى أنَّ هذهِ الآيةَ نزلتْ في زعماءِ قريشٍ الذينَ كانوا يستهزئونَ بالنبيّ الكريمِ، وهناكَ خلافٌ في تحديدِ مَنْ هُمُ المكذِّبونَ في الآيةِ، فيقولُ مقاتلٌ إنَّهُمُ العشرةُ الذينَ أطعموا المشركينَ يومَ بدرٍ، ويحيى بنُ سلامٍ يقولُ إنَّهُم من بني المغيرةِ، ومن أشهرِهِم الوليدُ بنُ المغيرةِ، الذي اشتهرَ بعدائِهِ للرسولِ، ثمَّ بعد ذلكَ حاولَ القرطبيُّ تفسيرَ عبارةِ أُولِي النَّعْمَةِ، وقالَ إنَّهُم من أهلِ الغنى الذينَ كانوا يُغرقونَ في الدنيا وملذَّاتِها، وهُم أصحابُ نفوذٍ، فتكبَّروا على النبيّ محمَّدٍ وكذَّبوهُ.[٤] تكلم الطبري عن هذا فعال يعني تعالى ذكره بقوله: (وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ) "فدعني يا محمد والمكذّبين بآياتي أُولِي النَّعْمَةِ يعني أهل التنعم في الدنيا"[٥]" ذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً "الْقَوْلُ فِيهِ كَالْقَوْلِ فِي فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهذَا الْحَدِيثِ فِي سُورَةِ الْقَلَمِ[٦] أَيْ دَعْنِي وَإِيَّاهُمْ، أَيْ لَا تَهْتَمَّ بِتَكْذِيبِهِمْ وَلَا تَشْتَغِلْ بِتَكْرِيرِ الرَّدِّ عَلَيْهِمْ وَلَا تَغْضَبْ وَلَا تَسُبَّهُمْ فَأَنَا أَكْفِيكَهُمْ وَالْمُكَذِّبُونَ هُمْ مَنْ عَنَاهُمْ بِضَمِيرِ يَقُولُونَ واهْجُرْهُمْ وهم المكذبون للنَّبِي (صلى الله عليه وسلم) مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، فَهُوَ إِظْهَارٌ فِي مَقَامِ الْإِضْمَارِ لِإِفَادَةِ أَنَّ التَّكْذِيبَ هُوَ سَبَبُ هَذَا التَّهْدِيدِ، وَوَصَفَهُمْ بِ أُولِي النَّعْمَةِ تَوْبِيخًا لَهُمْ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا لِغُرُورِهِمْ وَبَطَرِهِمْ بِسَعَةِ حَالِهِمْ،

(١) سورة المزمل، الآية: ١١.
(٢) راجع الجامع لأحكام القرآن: ٤٥/١٩.
(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٤٥/١٩.
(٤) الجامع لأحكام القرآن: ٤٥/١٩.
(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٦٩٠/٢٣.
(٦) سورة القلم، الآية: ٤٤.

وَتَهْدِيدًا لَهُمْ بِأَنَّ الَّذِي قَالَ ذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ سَيُزِيلُ عَنْهُمْ ذَلِكَ التَّنَعُّمَ، وَفِي هَذَا الْوَصْفِ تَعْرِيضٌ بِالتَّهَكُّمِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعُدُّونَ سَعَةَ الْعَيْشِ وَوَفْرَةَ الْمَالِ كَمَالًا، وَكَانُوا يُعَيِّرُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْخَصَاصَةِ[١] ابن عاشور يوضح أن هذه الآية فيها أمر للنبي بعدم الانشغال بالمكذبين، لأن الله سيتولاهم، كما أنها توبيخ على تكذيبهم بسبب ترفهم وغرورهم، وتهديد لهم بأن هذا النعيم سيزول عنهم، وفيها تهكم بسلوكهم، كذلك وأن الله صرّح بلفظ "المكذبين" بدلًا من الإشارة إليهم بضمير.

بضمير الغائب "وذرني وإياهم" ليؤكد أن التهديد والعقاب وقع عليهم بسبب تكذيبهم للنبي ولرسالته، وليس لأي شيء آخر. فعل الأمر "ذَرْنِي" هنا يحمل دلالة التهديد والوعيد للمكذبين، والتطمين للنبي فضلاً عن إلى إهانة المشركين وكذلك تسليم الأمر كله لله أما عن الغرض المجازي الذي خرج إليه فعل الأمر "ذَرْنِي" هو التهديد والوعيد للمشركين، والتطمين للنبي، والتهكم بوصفهم أُولي النعمة. نعم، "ذَرْنِي" هو فعل أمر صريح في صياغته، وهو فعل أمر من "ذَرَّ"، والذي يعني "اترك" أو "دَع"، لكن في السياق القرآني، لا يُقصد منه طلبًا حقيقيًا أو تقليديًا، بل يحمل دلالات أخرى ذكرناها[٢] يقول أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي في تفسيره للقسم الثاني من الآية **(وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا)**" يَعْنِي إلى مُدَّةِ آجَالِهِمْ. قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ لَمْ يَكُنْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى وَقَعَتْ وَقْعَةُ بَدْرٍ. وَقِيلَ: وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا يَعْنِي إلى مدة الدنيا"[٣]، للطبري قول مشابه لهذا وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلا يقول:" وأخرهم بالعذاب الذي بسطته لهم قليلا حتى يبلغ الكتاب أجله وذُكر أن الذي كان بين نزول هذه الآية وبين بدر يسير".[٤] وَالتَّمْهِيلُ: الْإِمْهَالُ الشَّدِيدُ، وَالْإِمْهَالُ: التَّأْجِيلُ وَتَأْخِيرُ الْعُقُوبَةِ، وَهُوَ مُتَرَتِّبٌ فِي الْمَعْنَى عَلَى قَوْلِهِ: وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ، أَيْ وَانْتَظِرْ أَنْ نَنْتَصِرَ لَكَ [٥] ابن عاشور يوضح أن "التمهّل" يعني تأجيل العقوبة

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧٠/٢٩.
(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧٠/٢٩.
(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٤٦/١٩.
(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٦٩٠/٢٣.
(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧٠/٢٩.

لفترة ليست طويلة بدلالة لفظة قليلا، ودلالة فعل الأمر "مهل" هنا يعني أن الله طلب من النبي أن يترك أمر المكذبين له حتى يمهلهم لفترة ليست طويلة، ومن بعد ذلك يشرع بمعاقبتهم. الغرض المجازي الذي خرج إليه فعل الأمر هو الإمهال المؤقت للمكذبين وإعطائهم فرصة للتوبة، وهذه الفرصة ليست طويلة كما وضحنا. "واهجر" فعل أمر صريح لأنه جاء بصيغة فعل أمر مباشر، أما "مهل" فهو مصدر ناب عن فعل أمر، لذلك يعتبر مصدرًا نائبًا لفعل أمر، وليس فعل أمر صريح.

قال تعالى: "**إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ثى**"[1]. هي آخر آية في السورة، تختلف عن باقي الآيات في سورة المزمل، إذ تأتي لتخفيف الحكم السابق بقيام الليل حيث أُبيح للمؤمنين أن يقرؤوا ما تيسر من القرآن الكريم، مراعاةً لظروفهم كالسفر والمرض والجهاد. تتضمن الآية الكريمة عددًا من الأوامر الإلهية التي توجه المؤمنين إلى أعمال العبادات والطاعات، وجاءت هذه الأوامر في سياق التخفيف والتيسير بعد بيان ما كان عليه النبي ومن معه من قيام الليل. وسنقوم بتحليل هذه الأوامر، وفقًا لترتيبها في الآية، الزمخشري تكلم عن الجزء الذي فيه فعل الأمر "اقرؤا" في "فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ" قال وعبر عن الصلاة بالقراءة، لأنها بعض أركانها، كما عبر عنها بالقيام والركوع والسجود. يريد: فصلوا ما تيسر عليكم، ولم يتعذر من صلاة الليل، وهذا ناسخ للأوّل، ثم نسخا جميعا بالصلوات الخمس. وقيل هي قراءة القرآن بعينها، قيل: يقرأ مائة آية. ومن قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن، وقيل: من قرأ مائة آية كتب من القانتين. وقيل: خمسين آية. وقد بين الحكمة في النسخ. وهي تعذر القيام على المرضى، والضاربين في الأرض للتجارة، والمجاهدين في سبيل الله[2] في الكشاف، يُقال إن الأمر بالقراءة في الآية هو كناية عن الصلاة،

(١) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

(٢) تفسير الكشاف: ٦٤٣/٤.

لأن القراءة هي جزء من أركان الصلاة مثل القيام والركوع والسجود. جاء هذا الأمر تخفيفًا بعد التكليف الأول بقيام الليل، وقد نسخ ذلك بالأمر بالصلوات الخمس.

كما حُدد مقدار القراءة في الآية بمائة آية أو خمسين آية. وكان سبب هذا التخفيف هو صعوبة قيام الليل على فئات من الناس مثل المرضى والمجاهدين والمسافرين.[١] ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي يقول فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ فصلوا ما تيسر عليكم من صلاة الليل، عبر عن الصلاة بالقرآن كما عبر عنها بسائر أركانها، قيل كان التهجد واجباً على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به، ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس، أو فاقرؤوا القرآن بعينه كيفما تيسر عليكم. عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضى استئناف يبين حكمة أخرى مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتباً عليه وقال: وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ والضرب في الأرض ابتغاء للفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم وآخرون يقاتلون لله وفي سبيله[٢]، يقول إن الصلاة قد عُبر عنها بلفظ "القراءة" كما عُبر عنها بأركانها الأخرى في مواطن أخرى، أي أن المقصود بـ "فاقرؤوا ما تيسر" هو أداء صلاة الليل وقراءة ما تيسر من القرآن فيها. وذكر أن الصلاة كانت واجبة على التخيير، لكنها أتعبت المسلمين، فخففها الله عليهم، ثم نسخت بالصلوات الخمس المفروضة. كما يمكن أن تُفسر "القراءة" على معناها الحقيقي والمباشر، وهو قراءة القرآن نفسه بقدر المستطاع، بحسب الشخص وظروفه. وكرر قوله: "فاقرؤوا ما تيسر منه" لتأكيد التخفيف، بحيث يقرأ كل شخص القرآن، سواء داخل الصلاة أو خارجها، وفق استطاعته وحسب وضعه[٣]، فالقرطبي قال: فَاقْرَؤُا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ أَيْ فَصَلُّوا مَا تَيَسَّرَ عَلَيْكُمْ، وَالصَّلَاةُ تُسَمَّى قُرْآنًا، كَقَوْلِهِ تعالى: **"وَقُرْآنَ الْفَجْرِ"**[٤]، أي: صَلَاةَ الْفَجْرِ قَالَ الْقُشَيْرِيُّ أَبُو نَصْرٍ: وَالْمَشْهُورُ أَنَّ نَسْخَ قِيَامِ اللَّيْلِ كَانَ فِي حَقِّ الْأُمَّةِ، وَبَقِيَتِ الْفَرِيضَةُ

(١) ينظر: المصدر نفسه:٦٤٣.
(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢٥٧/٥.
(٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢٥٧/٥.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.

فِي حَقِّ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم). وَقِيلَ: نُسِخَ التَّقْدِيرُ بِمِقْدَارٍ، وَفِيَ أَصْلُ الْوُجُوبِ، فَالْهَدْيُ لا بُدَّ مِنْهُ، كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ صَلَاةِ اللَّيْلِ، وَلَكِنْ فُوِّضَ قَدْرُهُ إلى أَخْتِيَارِ الْمُصَلِّي، وَعَلَى فَقَدْ قَال قَوْمٌ: فَرْضُ قِيَامِ اللَّيْلِ بِالْقَلِيلِ بَاقٍ، وَهُوَ مَذْهَبُ الْحَسَنِ[١] القرطبي يفسر **"فاقرؤوا ما تيسر منه"** بمعنى أدوا صلاة الليل، لأن الصلاة تُسمى "قرآنًا" كما في قوله تعالى **"وقرآن الفجر"** أي: صلاة الفجر ويرى القرطبي، كذلك أن وجوب قيام الليل قد نُسخ عن الأمة، لكنه بقي واجبًا على النبي ﷺ.

كما يذكر رأيًا آخر في تفسيره، وهو أن النسخ لم يكن بإلغاء وجوب الصلاة، وإنما بإلغاء تحديدها بقدر معين، فأصبح مقدار هذه الصلاة متروكًا لاختيار المصلي كما في هدي الحج، إذ إن الهدي في الحج واجبٌ، لكن مقداره يُحدد حسب الاستطاعة[٢]، أما الطبري يقول في تفسيره : فاقرءوا من الليل ما تيسر لكم من القرآن في صلاتكم؛ وهذا تخفيف من الله – عزّ وجلّ عن عباده فرضه الذي كان فرض عليهم في الآية السابقة[٣] ابن عاشور يقول وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُطَالَ الْقَوْلُ فِي أَنَّ الْقِيَامَ الَّذِي شُرِّعَ فِي صَدْرِ السُّورَةِ كَانَ قِيَامًا وَاجِبًا عَلَى النَّبِيءِ (صلى الله عليه وسلم) خَاصَّةً، وَأَنَّ قِيَامَ مَنْ قَامَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَعَهُ بِمَكَّةَ إِنَّمَا كَانَ تَأَسِّيًا بِهِ وَأَقَرَّهُمُ النَّبِي (صلى الله عليه وسلم) عَلَيْهِ وَلَكِنْ رَأَتْ عَائِشَةُ أَنَّ فَرْضَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ نَسَخَ وُجُوبَ قِيَامِ اللَّيْلِ، وَهِيَ تُرِيدُ أَنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ كَانَ فَرْضًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ تَأْوِيلٌ، كَمَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يُخْتَلَفَ فِي أَنَّ أَوَّلَ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَى الْأُمَّةِ هُوَ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ الَّتِي فُرِضَتْ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ وَأَنَّهَا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهَا وُجُوبُ صَلَاةٍ عَلَى الْأُمَّةِ وَلَوْ كَانَ لجرى ذكر تعويضه بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ فِي حَدِيثِ الْمِعْرَاجِ، وَأَنَّ جوب الْخَمْسِ عَلَى النَّبِي (صلى الله عليه وسلم) مِثْلَ: وُجُوبِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ.[٤] نستنتج من أقوال المفسرين أن دلالة فعل الأمر في الآية "فاقرؤوا ما تيسر منه" تكمن في التوجيه إلى القراءة أو الصلاة، حيث يُحث المسلمون على قراءة ما تيسر من القرآن، سواء داخل الصلاة أو خارجها،

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٥٣/١٩.
(٢) ينظر: المصدر نفسه:٥٣.
(٣) تفسير الطبري: ٦٩٨/٢٣.
(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧٩/٢٩.

بناءً على قدرتهم وظروفهم. الآية تأتي لتخفيف الحكم السابق بوجوب قيام الليل، وقد نسخ هذا الواجب بالأمر بالصلوات الخمس المفروضة. والغرض المجازي الذي خرج اليه فعل الأمر: "فاقرؤوا" في الآية "**فَاقْرَؤُا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ**" هو التخفيف والتيسير على المؤمنين في أداء العبادات، صيغة الأمر "فاقْرَؤُوا"، هي صيغة صريحة لفعل الأمر فهي تأتي بصيغة الأمر المباشر للمخاطبين.

أما قوله تعالى: "**أقيموا الصلاة**"[١] تعني المفروضة والزكاة الواجبة وقيل: زكاة الفطر، لأنه لم يكن بمكة زكاة. وإنما وجبت بعد ذلك، ومن فسرها بالزكاة الواجبة جعل آخر السورة مدنيا وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يجوز أن يريد: سائر الصدقات وأن يريد: أداء الزكاة على أحسن وجه: من إخراج أطيب المال وأعوده على الفقراء، ومراعاة النية وابتغاء وجه الله، والصرف إلى المستحق[٢] "تناول الزمخشري في تفسيره فعل الأمر" "أقيموا" حيث فسره بإقامة الصلاة المفروضة. كما تناول فعل الأمر "آتوا" منبهاً إلى وجوب إخراج الزكاة الواجبة أو زكاة الفطر. فضلاً عن ذلك، فسر الزمخشري فعل الأمر "أقرضوا" موضحًا المقصود وهو تقديم الصدقات بأحسن وجه، مع مراعاة إخراج أطيب المال بنية صادقة ابتغاء وجهه الكريم، "وهذه الأفعال الثلاثة تدل على الوجوب سواء في اقامة الصلاة أم في ايتاء الزكاء او الاقراض اما عن الاغراض المجازية التي خرجت إليها هذه الافعال الثلاثة[٣]، "أقيموا": توجيه لإقامة الصلاة بشكل صحيح "آتوا": إرشاد لإعطاء الزكاة الواجبة. "أقرضوا": توجيه بأن يكون العمل الصالح بنية طيبة واختيار أفضل المال، "أقيموا"، "آتوا"، و "أقرضوا" هي صيغ فعل أمر صريح .وَآتُوا الزَّكاةَ الواجبة. وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يريد به الأمر في سائر الانفاقات في سبل الخيرات، أو بأداء الزكاة على أحسن وجه، والترغيب فيه بوعد العوض بأن ما تقدموه للناس سيعوضكم الله به

(١) سورة المزمل، الآية: ٢٠.
(٢) الكشاف: ٦٤٤/٤.
(٣) ينظر: الكشاف: ٦٤٤/٤.

أجراً[١]، البيضاوي أراد في تفسيره لهذه الأفعال الأمرية أن "آتو الزكاة" تشير إلى الزكاة الواجبة، كما قد تتضمن الأعمال الخيرية الأخرى. "أقرضوا الله قرضًا حسنًا"، فهو إشارة إلى الإنفاق في سبيل الله، سواء كانت الزكاة أو أي نوع آخر من الصدقات التي تُقدم لوجه لله بطيب النية . كما أن ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي أشار إلى أهمية النية الطيبة في الأداء، وأن الله سيعوضهم بأجر أعظم مما يقدموه للناس، وهذا يشمل كل ما ينفقونه في الخير سواء في الزكاة أو في غيرها[٢] (وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ) يَعْنِي الْمَفْرُوضَةَ وَهِيَ الْخَمْسُ لِوَقْتِهَا. (وَآتُوا الزَّكاةَ) الْوَاجِبَةَ فِي أَمْوَالِكُمْ، قَالَهُ عِكْرِمَةُ وَقَتَادَةُ. وَقَالَ الْحَارِثُ الْعُكْلِيُّ: صَدَقَةُ الْفِطْرِ لِأَنَّ زَكَاةَ الْأَمْوَالِ وَجَبَتْ بَعْدَ ذَلِكَ. وَقِيلَ: صَدَقَةُ التَّطَوُّعِ. وَقِيلَ: كُلُّ أَفْعَالِ الْخَيْرِ.

وَقَالَ ابن عَبَّاسٍ: طَاعَةُ اللَّهِ وَالْإِخْلَاصُ لَهُ، والْقَرْضُ الْحَسَنُ مَا قُصِدَ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ تعالى خَالِصًا مِنَ الْمَالِ الطَّيِّبِ، وقال زيد ابن أَسْلَمَ: الْقَرْضُ الْحَسَنُ النَّفَقَةُ عَلَى الْأَهْلِ. وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: هُوَ النَّفَقَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.[٣]، إقامة الصلاة تعني أداء الصلوات الخمس المفروضة في أوقاتها المخصصة لها. إيتاء الزكاة تعني الزكاة الواجبة علينا، لكن هناك تفسيرات أخرى تشير إلى انها زكاة الفطر أو صدقات التطوع أو الطاعة والإخلاص لله اما عن إقراض الله قرضًا حسنًا يعني الإنفاق في سبيله بنية خالصة، ويشمل ذلك النفقة على الأهل و في سبيل الله[٤]، ابن عاشور يشبع هؤلاء الأوامر الثلاثة تفسيراً بَقَوْلُهُ: وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ تَذْكِيرٌ بِأَنَّ الصَّلَوَاتِ الْوَاجِبَةَ هِيَ الَّتِي تَحْرِصُونَ عَلَى إِقَامَتِهَا وَعَدَمِ التَّفْرِيطِ فِيهَا وَعَطْفُ وَآتُوا الزَّكاةَ تَتْمِيمٌ لِأَنَّ الْغَالِبَ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُ ذِكْرُ الصَّلَاةِ مِنْ قَرْنِ الزَّكَاةِ مَعَهَا حَتَّى اسْتَنْبَطَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ مَانِعَ الزَّكَاةِ يُقَاتَلُ عَلَيْهَا، وَإِقْرَاضُ اللَّهِ هُوَ الصَّدَقَاتُ غَيْرُ الْوَاجِبَةِ، شُبِّهَ إِعْطَاءُ الصَّدَقَةِ لِلْفَقِيرِ بِقَرْضٍ يُقْرِضُهُ اللَّهُ لِأَنَّ اللَّهَ وَعَدَ عَلَى الصَّدَقَةِ بِالثَّوَابِ الْجَزِيلِ فَشَابَهَ حَالَ مُعْطِي الصَّدَقَةِ مُسْتَجِيبًا رَغْبَةَ اللَّهِ فِيهِ بِحَالِ مَنْ أَقْرَضَ مُسْتَقْرِضًا فِي أَنَّهُ حَقِيقٌ بِأَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهِ مَا أَقْرَضَهُ، وَذَلِكَ فِي الثَّوَابِ الَّذِي يُعْطَاهُ

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢٥٨/٥.
(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المصدر السابق:٢٥٨.
(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٥٨/١٩.
(٤) ينظر: المصدر نفسه:٥٨.

يَوْمَ الْجَزَاءِ. وَوَصْفُ الْقَرْضِ بِالْحَسَنِ يُفِيدُ الصَّدَقَةَ الْمُرَادَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ تعالى وَالسَّالِمَةَ مِنَ الْمَنِّ وَالْأَذَى، وَالْحُسْنُ مُتَفَاوِتٌ[1] إقامة الصلاة تعني العناية بالصلاة المفروضة وعدم التفريط فيها، كما ورد في الآية التي تؤكد أن الصلاة فرض واجب و إيتاء الزكاة كما يقول هو تكملة للصلاة في الآيات، حيث تذكر الزكاة دائمًا مع الصلاة. كما استنبط أبو بكر رضي الله عنه أن من يمنع الزكاة يجب ان نقاتله اما بالنسبة لإقراض الله يشير إلى صدقات التطوع وهي غير واجبة.

أما قوله تعالى: "**وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**"[2] ورد أسلوب أمر أخير في هذه الآية "اسْتَغْفِرُوا" يقول ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي يجب أن تستغفروا الله في مجامع أحوالكم فإن الإنسان لا يخلو من تفريط. إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ[3] أراد التأكيد على ضرورة الاستغفار في حالات الإنسان، جميعها لأن الإنسان بطبيعته مقصرا بحق الله، سواء كان في أداء العبادات أو غيرها فالله عز وجل وصف نفسه بالغفور الرحيم، مما يعني أنه يتوب عن المذنبين ويغفر لهم، ولذلك ينبغي على المؤمنين أن يكثروا من الاستغفار طلبًا لمغفرته ورحمته[4] وَقَالَ النَّبِيءُ (صلى الله عليه وسلم): «يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إلى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ». وَقَالَ: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي أَوْ دَعَا اسْتُجِيبَ لَهُ» وَجُمْلَةُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ تَعْلِيلٌ لِلْأَمْرِ بِالِاسْتِغْفَارِ، أَيْ لِأَنَّ اللَّهَ كَثِيرُ الْمَغْفِرَةِ شَدِيدُ الرَّحْمَةِ. وَالْمَقْصُود من هَذَا التَّعْلِيلِ التَّرْغِيبُ وَالتَّحْرِيضُ عَلَى الِاسْتِغْفَارِ بِأَنَّهُ مَرْجُوُّ الْإِجَابَةِ. وَفِي الْإِتْيَانِ بِالْوَصْفَيْنِ الدَّالَّيْنِ عَلَى الْمُبَالَغَةِ فِي الصِّفَةِ إِيمَاءٌ إلى

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٨٩/٢٩.
(٢) سورة المزمل، الآية: ٢٠.
(٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢٥٨/٥.
(٤) ينظر: المصدر نفسه:٢٥٨.

الْوَعْدِ بِالْإِجَابَةِ[١] إذن، ابن عاشور يريد أن يوضح أن الآية تحث على الاستغفار، وتبيّن أن الله رحيم وغفور، وبالتالي لا يجب على المؤمن أن ييأس من مغفرة الله مهما كانت ذنوبه، فعل الأمر في قوله تعالى "وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" وفقًا لابن عاشور، خرج إلى الغرض البلاغي من الترغيب والتحريض على طلب المغفرة من الله سبحانه وتعالى ودلالة هذا الفعل تكمن في التوجيه والإرشاد وطلب الاستغفار مع التأكيد على المغفرة من الله –جل وعز.

المبحث الثاني

أسلوب الأمر في سورة المدثر

أ - الأمر لغة :

يُعدُّ أسلوب الأمر من الأساليب المهمة في لغتنا العريقة، فقد أولوه علماء العربية اهتمامًا بالغًا في بيان صِيَغه المتعددة وتحديد ألفاظه وبيان معانيها، فهو يتميز بقدرته على الإلزام والتأثير، مما يجعل من الأمر أداة للتوجيه والإرشاد

١– الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ) قال :الأمر: نقيضُ النَّهي، والأمر واحدٌ من أمور النّاس. وإذا أَمَرْتَ من الأمر قلت: اؤْمُرْ يا هذا، فيمن قرأ: وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ[٢].

٢– يذكر علي بن الحسن الأزدي (ت: ٣٦٠هـ) في كتابه: يقال: أَمَرْته وآمَرْتهُ، ويُقصد به الأمر الذي هو عكس النهي.[٣]

٣– أحمد بن فارس (ت:٢٩٥هـ) يعرّف الأمر قائلاً: "أَمَرَ الْهَمْزَةُ وَالْمِيمُ وَالرَّاءُ أُصُولٌ خَمْسَةٌ: الأمر مِنَ الْأُمُورِ، وَالأمر ضِدُّ النَّهْيِ، وَالأمر النَّمَاءُ وَالْبَرَكَةُ بِفَتْحِ الْمِيمِ، وَالْمَعْلَمُ، وَالْعَجَبُ. وَالأمر الَّذِي هُوَ نَقِيضُ النَّهْيِ قَوْلُكَ افْعَلْ كَذَا,"[٤] "وأما الأمر ضد النهي: فمنه قولك: افعل كذا، وقولهم: لي عليك إمرةٌ مطاعةٌ، أي: لي عليك أن آمُرَكَ مرةً واحدةً فتُطِيعَنِي"[٥].

ب - الأمر اصطلاحًا :

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٨٩/٢٩.

(٢) العين : ٢٩٧/٨.

(٣) ينظر: المنجد في اللغة : ١٠٩.

(٤) مقاييس اللغة : ١٣٧.

(٥)عناية الإسلام بتربية الأبناء، عرفة بن طنطاوي: ٢٤٦.

١- قال عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني (ت: ١٤٢٥هـ) في كتابه: "الأمر هو طلب تحقيق شيء ما، مادي أو معنوي، وتدل عليه صيغ كلامية أربع، هي: 'فعل الأمر - المضارع الذي دخلت عليه لام الأمر - اسم فعل الأمر - المصدر النائب عن فعل الأمر."[١] يقصد أن الأمر هو طلب لتحقيق شيء ما، سواء كان معنويًا أو ماديًا، وأنه يأتي بصيغ متعددة كما أشار، سواء كان فعل أمر صريحاً أو مضارعًا دخلت عليه لام الأمر أو المصدر النائب عن فعل الأمر أو حتى اسم فعل الأمر.[٢]

٢- وقال أحمد الهاشمي (ت: ١٣٦٢هـ) "الأمر هو طلب حصول الفعل على وجه الاستعلاء مع الإلزام,"[٣] فالهاشمي يركز على أن الأمر هو طلب فعل بطريقة تسلطية وإلزامية، كما يفعل القائد مع جنوده أو المعلم مع طلابه.[٤]

٣- وقال ابن عثيمين (ت: ١٤٢١هـ) "وخرج بقولنا: 'طلب الفعل' النهي لأنه طلب ترك، والمراد بالفعل الإيجاد فيشمل القول المأمور به."[٥], يخرج بقولنا: "على وجه الاستعلاء" الالتماس والدعاء والدعاء وغيرهما مما يستفاد من صيغة الأمر بالقرائن.[٦]

٤- عَرَّفَ الدكتور محمد أحمد قاسم والدكتور محيي الدين ديب "هو طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء ويكون ممن هو أعلى إلى من هو أقل منه."[٧] وتعريف الدكتور محمد محمد أحمد قاسم والدكتور محيي الدين ديب يشبه تعريف الهاشمي، لكنه يُضيف قيدًا وهو أن الأمر يجب أن يكون في مرتبة أعلى مكانة من المأمور .

(١) البلاغة العربية: ٢٢٨/١.
(٢) البلاغة العربية : ٢٢٨.
(٣) جواهر البلاغة: ٧١.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٧١.
(٥) مجموع الفتاوى ورسائل العثيمين:٤٢/١١.
(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٢٤.
(٧) علوم البلاغة: ٢٨٣.

"ومنه مواضع أسلوب الأمر قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ**"[١] تَقَعُ الآيتان في بداية سورة المدثر، بتوجيهٍ من الله سبحانه لنبيه أمرًا من القيام والإنذار، بعد خطابه الأول له: "يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ" فالزمخشري، يتحدث عن الأمرين معًا بقوله: قُمْ فَأَنْذِرْ أي: خوِّفْ أهل مكة، وحذِّرهم العذاب إن لم يُسلِموا. وقيل: الإنذار هنا إعلامهم بنبوَّته، لأنه مقدِّمة الرسالة. وقيل: هو دعاؤهم إلى التوحيد، لأنه المقصود بها. وقال الفراء: قم فصلِّ، وأمر بالصلاة. وهذا دليل على ترابطهم، فإن "قُمْ" هي دعوة النبي بالنهوض والبدء بمهمته النبوية، ويتضح هذا من قول الفراء[٢] فنحن أُمِرنا بالصلاة والقيام بها، ممهدين لبداية الدعوة لأنها أحد أركان الإسلام الأساسية, أما "أنذر"، فالإنذار لا يعني تحذير أهل مكة من العذاب إذا استمروا على كفرهم فقط، وإنما هو إعلان بأن رسول الله هو نبيكم مبعوث إليكم، وأن الغاية النهائية من الإنذار هي دعوة للتوحيد، إلى عبادة الله وحده وترك الشرك، وهو جوهر هذه الرسالة.[٣] " القيام المأمور به ليس مستعملاً في حقيقته، لأن النبي النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يكن حين أوحي إليه بهذا نائمًا ولا مضطجعًا، وإنما هو مستعمل في الأمر بالمبادرة والإقبال والتهمم بالإنذار مجازًا أو كناية."[٤]

تكلم ابن عاشور في تفسيره عن دلالة فعل الأمر" قم" والأمر" انذر" واتضح لي من قوله: أن الأمر بـ"قُمْ" ليس بالمعنى الحرفي بالجلوس أو القيام من النوم، بل هو دعوة لبداية جادة في العمل بشكل مباشر دون تأخير أو تردد وفي هذا إشارة إلى أن فعل الأمر أنذر لا يعني التحذير اللفظي بل هو الشروع بتحذير جاد للكفار وإنذارهم من مخاطر الكفر وعواقبه, وإن التحرك سيكون بعزم نحو المهمة المراد إنجازها[٥] كما قال الزمخشري: "قم قيام عزم وتصميم"[٦] وَشَاعَ هَذَا الِاسْتِعْمَالُ فِي فِعْلِ الْقِيَامِ حَتَّى صَارَ مَعْنَى الشُّرُوعِ فِي الْعَمَلِ مِنْ مَعَانِي مَدَّةِ الْقِيَامِ مُسَاوِيًا لِلْحَقِيقَةِ وَجَاءَ بِهَذَا الْمَعْنَى فِي كَثِيرٍ مِنْ كَلَامِهِمْ، فَفِعْلُ قُمْ مُنَزَّلٌ مَنْزِلَةَ اللَّازِمِ، وَتَفْرِيعُ فَأَنْذِرْ عَلَيْهِ

(١) سورة المدثر، الآية: ١-٢ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٦١/١٩.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٦١.
(٤) التحرير والتنوير: ٢٩٤/٢٩.
(٥) ينظر: المصدر نفسه:٢٩٤.
(٦) تفسير الكشاف: ٦٤٥/٤.

يُبَيِّنُ الْمُرَادَ مِنَ الأمر بِالْقِيَامِ.[١] وهذه هي دلاله فعلا الأمر قم وأنذر عند ابن عاشور" ومن العلماء من أثار هنا تساؤلاً فقال: إن النبي (صلى الله عليه وسلم) أرسل مبشراً ونذيراً، كما قال الله- سبحانه وتعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا}**[٢] فلماذا اقتصر هنا على قوله: قُمْ فَأَنذِرْ ولم يقل: قم فبشر؟ فأجاب هذا القائل على هذا التساؤل بقوله: إن المقام مقام إنذار؛ لأنه لم يكن هناك أحد آمن حتى يبشره رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فالكل كفار، والبشرى تكون للمؤمنين، ولم يكن أحدهم قد آمن، ولذلك قال الله له: قم فأنذر، أي: أنذر هؤلاء الذين يندفعون إلى النار"[٣] " وجاء في سبب نزولها ما جاء في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله (ت: ٧٨هـ) (رضي الله عنه) وكان يحدث، فقال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) – وهو يحدث عن فترة الوحي–: «فبينما أنا أمشي سمعت صوتًا من السماء فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالسًا على كرسي بين السماء والأرض"[٤].

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): فجئثت منه فرقًا أي: ذعرت وخفت[٥]، فرجعت فقلت: زملوني زملوني. فدثروني فأنزل الله – تبارك وتعالى: **{يا أيها الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ. وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ. وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ. وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ}**.

قال تعالى: "**وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ** "[٦]. هي جزء من سورة المدثر، فهي تأتي ضمن الآيات الأولى التي تحوي أسلوب الأمر أمر النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ليقوم بمهمته من دعوة وإنذار بعد الأمر بالقيام والانذار تأتي الاوامر لتوضيح كيف يجب ان يتعامل النبي مع هذه الدعوة ومن هذه الأوامر قوله: **(وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ)** يقول تعالى وربك يا محمد فعظم بعبادته، والرغبة إليه في حاجاتك دون

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩٥/٢٩.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤٥.
(٣) سلسلة التفسير، أبو عبد الله مصطفى بن العدوى شلباية المصري: ٧٨/١١.
(٤) تاريخ نزول القران، محمد رأفت سعيد: ١٠٢.
(٥) تاج العروس من جواهر القاموس: ١٩١/٥.
(٦) سورة المدثر، الآية: ٣.

غيره من الآلهة والأنداد[١] وقال محمد بن مصطفى في كتابه في معنى وربك فكبر" فَمَعْنَى وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ: صِفْ رَبَّكَ بِصِفَاتِ التَّعْظِيمِ، وَهَذَا يَشْمَلُ تَنْزِيهَهُ عَنِ النَّقَائِصِ فَيَشْمَلُ تَوْحِيدَهُ بِالْإِلَهِيَّةِ وَيَشْمَلُ وَصْفَهُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ كُلِّهَا"[٢] وإن الله – سبحانه وتعالى جعل محور ومضمون هذه الدعوة التي كلف الرسول بها هي تعظيم الله وتوحيده. الآية "**وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ**" تدعو إلى تنزيه الله تعالى عن الشرك والتشبيه، وتعظيمه في القلوب والأقوال والأفعال[٣] ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) في تفسيره لهذه الآية يقول: "وخص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقداً وقولاً"، "ودخلت الفاء لمعنى الشرط. كأنه قيل: وما كان فلا تدع تكبيره"[٤]. من هذا ندرك أن الغرض من فعل الأمر كبر هو التعظيم, وإن فعل الأمر هنا صريح والفاء في قوله: فكبر عند البيضاوي دخلت لتوضح أن هناك علاقة شرطية بين معرفة الله وتكبيرة فإذا عرفت الله وآمنت به وبعظمة وجودة يحب عليك تكبيرة, ومن هنا نشير إلى علاقة هذه الأوامر مع بعضها البعض, إذ يبدأ الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالقيام اي النهوض ثم الإنذار بتحذير أهل مكة ثم التكبير بتوجيه الناس نحو أهمية تعظيم الله عز وجل.

قال تعالى:" **وثيابك فطهر** " [٥] هذه الآية تأتي بعد آية "**وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ**"[٦]، أي : أن ترتيبها في السورة هو بعد الأمر بتكبير الله، وفعل الأمر طهر في النظم مثل نظم "**وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ**" أي لا تترك تطهير ثيابك، وللتطهير إطلاق حقيقي وهو التنظيف وإزالة النجاسات وإطلاق مجازي وهو التزكية قال تعالى: "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا"[٧] , المعنيان صالحان في الآية فتحمل عليهما معًا، فتحصل أربعة معانٍ لأنه مأمور بالطهارة الحقيقية لثيابه إبطالًا لما كان عليه أهل الجاهلية من عدم الاكتراث بذلك. وقد وردت أحاديث في ذلك يقوي

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤٠٥/٢٣.
(٢) السيرة النبوية بين الآثار المروية: محمد الدبيسي: ٣٠١.
(٣) ينظر: السيرة النبوية بين الآثار المروية: ٣٠١.
(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢٥٩/٥.
(٥) سورة المدثر، الآية:٤.
(٦) سورة المدثر، الآية:٣.
(٧) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

بعضها بعضًا، وأقواها ما رواه الترمذي "**إِنَّ اللَّهَ نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ**". ومناسبة التطهير بهذا المعنى لأن يُعطف على "**وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ**" لأنّه لما أُمر بالصلاة أُمر بالتطهر لها لأن الطهارة مشروعة للصلاة. وليس في القرآن ذكر طهارة الثوب إلا في هذه الآية في أحد محاملها وهو مأمور بتزكية نفسه، وتقديم ثيابك على فعل "طهر" للاهتمام به في الأمر بالتطهير[١] أراد ابن عاشور أن يقول من هذا كله أمور عدة أهمها أن هذه الآية تحتمل معنيين في تفسيرها حقيقياً وهو تطهير الثياب من الأوساخ والنجاسات وهذا الأمر يخالف عادات الجاهلية حيث كانوا غير مبالين بالطهارة، ومعنى آخر مجازياً فيشمل تطهير النفس من الذنوب والمعاصي ولفعل الأمر هذا دلالة الوجوب وهي الدلالة الأصلية لفعل الأمر, لأن النبي مأمور بتطهير ثيابه سواء كان تطهيراً حسياً أم معنوياً وقد خرج إلى أغراض مجازية هي التوجيه والإرشاد للطهارة المعنوية والحسية والتنبيه على أهميتها لأنها مقترنه بالصلاة، اما عن صيغته فهي صريحة[٢].

وقال شمس الدين في كتابه: "وقيل: المراد بالثياب النفس، أي: طهر نفسك من الذنوب. وقيل: المراد بها الأهل، أي: طهر أهلك من ارتكاب الخطايا بأن تعظهم وتؤدبهم، فإن الأهل يسمون بالثياب واللباس"[٣] هناك علاقة بين تفسير شمس الدين وآية من آيات سورة البقرة هي أن أن كليهما يستخدم لفظ "الثياب" أو "اللباس" بمعنى مجازي. شمس الدين يرى أن "الثياب" في: "**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**" قد تعني الأهل، كما استخدمت آية البقرة "اللباس" للدلالة على العلاقة الوثيقة بين الزوجين، مما يؤيد أن "الثياب" قد ترمز للأشخاص المقربين، وليس فقط الملابس.[٤], قال القرطبي في معاني فعل الأمر "طهر": "**(وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ)** فيه ثمانية أقوال: أحدهما أن المراد بالثياب العمل. الثاني القلب. الثالث النفس. الرابع الجسم. الخامس الأهل. السادس الخلق.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩٧/٢٩.
(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩٧.
(٣) شمس الدين، شرح البخاري: ٢٣/١.
(٤) ينظر: المصدر نفسه:٢٣.

السابع الدين. الثامن الثياب الملبوسات على الظاهر"[١]. وقيل: المراد بالثياب الخل الخلق، أي: حسن خلقك، وقيل: المراد بها الدين، وأكثر المفسرين على أن المراد بالثياب: يلبس على البدن. "وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ" قلبك من الغدر والخيانة والضجر أي: كن طاهر القلب، ويقال: "ثيابك فطهر" فقصر ويقال "وثيابك فطهر من الدنس"[٢], فجمهور المفسرين من السلف ومن بعدهم على أن المراد بالثياب هاهنا القلب، والمراد بالطهارة إصلاح الأعمال والأخلاق، قال الواحدي: إختلف المفسرون في معناه، فروى عطاء عن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال "يعنى من الإثم، ومما كانت الجاهلية تجيزه", هذا قول قتادة ومجاهد، قالا: "نفسك فطهرها من الذنب" ونحوه قول الشعبي وإبراهيم والضحاك والزُهري.[٣] نستنتج من هذا أن وهناك علاقة بين الأوامر المختلفة: أولًا يجب الاستعداد (قُم)، ثم يأتي دور التحذير (فأَنْذِرْ)، وأخيرًا يجب أن يكون هناك نقاء داخلي وخارجي (فَطَهِّرْ) لتكون الدعوة مؤثرة وفعالة، وهذا الفعل الصريح يدل على التطهير الجسدي والروحي معًا.

قال تعالى: "**والرجز فاهجر** "[٤] فقد وردت هذه الآية بعد سلسلة من الأوامر التي أمر الله بها نبيه الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) من قيام وإنذار وتطهير وهجر، وتقديم الرُّجْزَ على فعل (اهْجُرْ) للاهتمام في مهيع الأمر بتركه. والقول في "**وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ**" كقوله في "**وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ**". والهجر: ترك المخالطة وعدم الاقتراب من الشيء. والهجر هنا كناية عن ترك التلبس بالأحوال الخاصة بأنواع الرجز لكل نوع بما يناسبه في عرف الناس. والأمر بهجر الرجز يستلزم ألا يعبد الأصنام وأن ينفي عنها الإلهية [٥]. أي أن الأمر هنا عند ابن عاشور خرج إلى معنى كنائي ليس حقيقي، وهو ترك كل ما يتعلق بالشرك والمعاصي. فهو أمر صريح ودلالة فعل الأمر يبرز في الترك التام والابتعاد[٦] كما قال عبد المحسن القاسم في كتابه "متون طالب العلم": "وَالرُّجْزَ

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٦٢/١٩.
(٢) الكشاف: ٦٤٥.
(٣) اغاثة اللهفان، ابن القيم:٦٨/١.
(٤) سورة المدثر، الآية: ٥.
(٥) ينظر: التحرير والتنوير ٢٨٩/٢٩.
(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٢٨٩.

فَاهْجُرْ: الرُّجْزُ: الأَصْنَامُ. وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا"[١]. وفي لغتنا العربية، تقديم المفعول به على الفعل لفائدة وهي التوكيد والاهتمام. فحين قال الله تعالى: "**والرُّجْزَ فاهجر**"، لم يقل: "فاهجر الرجز"، لأن هذا التقديم جاء ليبين أن الابتعاد عن الرجز في غاية الأهمية وهو ذو شأن بالموضوع الأساسي وهو الدعوة وتبليغ الرسالة.

قال تعالى: "**وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ** "[٢]. هي جزء من سورة المدثر، في سياق دعوة النبي (صلى الله عليه وسلم) للصبر على أذى المشركين وعلى الدعوة ومشاقها. فهذه الآية تأتي بعد عدة أوامر موجهة للنبي أمره الله بها – سبحانه قَوْلُهُ تعالى: **(وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ)** "أَيْ: ولِسَيِّدِكَ وَمَالِكِكَ فَاصْبِرْ عَلَى أَدَاءِ فَرَائِضِهِ وعلى عِبَادَتِهِ. وقال مُجَاهِدٌ: عَلَى مَا أُوذِيتَ وقال ابن زيد: "حُمِّلْتَ أَمْرًا عَظِيمًا، مُحَارَبَةَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، فَاصْبِرْ عَلَيْهِ لِلَّهِ". وقال: فاصبر تحت موارد القضاء لأجل الله تعالى. وقال: "فاصبر على البلاء، لأنه يمتحن أولياءه وأصفياءه".

وقال: على أوامره ونواهيه. وقال: على فراق الأهل والأوطان [٣]" أي: ولسيدك ومالكك فاصبر على أداء رسالته وعلى حسن عبادته، وعلى ما أوذيت في سبيله، وعلى ما حملت من أمر عظيم، وعلى مواجهة التحديات الخطيرة من قبل المشركين، وعلى موارد القضاء، وعلى البلوى، وعلى الأوامر والنواهي، وعلى فراق الأهل والأوطان. وكل ذلك كان يتعرض له المؤمنون في تلك الفترة"[٤] للصبر أنواع، قد يكون الصبر على أداء واجباتنا الدينية، أو على الأذى الذي نتعرض له من قبل الآخرين، وأيضًا على الابتلاءات التي يبتلينا الله بها ليختبرنا، وكذلك الصبر على فراق الأحبة والأوطان. والآية هنا دعوة للصبر على كل هذا من أجل أن ننال رضوان

(١) القاسم، عبد المحسن، متون طالب العلم: ٦٦.
(٢) سورة المدثر، الآية: ٧.
(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٦٩/١٩.
(٤) نزول القران، محمد رفعت: ١٠٥.

الله[١]. "استعمل الصبر في وجه الله تعالى وقيل: على أذى المشركين". وقيل: "على أداء الفرائض". وعن النخعي: "على عطيتك"، كأنه وصله بما قبله، وجعله صبرًا على العطاء من غير استكثار"[٢]. وَتَقْدِيمُ لِرَبِّكَ عَلَى "اصْبِرْ" لِلِاهْتِمَامِ بِالْأُمُورِ الَّتِي يَصْبِرُ لِأَجْلِهَا مَعَ الرِّعَايَةِ عَلَى الْفَاصِلَةِ. وقال بعضهم: "اللام في لِرَبِّكَ لام التعليل"، أي اصبر على أذاهم لأجله، فيكون في معنى: "إنه يصبر توكلاً على أن الله يتولى جزاءهم". وهذا مبني على أن سبب نزول السورة ما لحق النبي (صلى الله عليه وسلم) من أذى المشركين.[٣] هذا التفسير يقول إن هذه الآية مرتبطة بسبب نزول السورة، حيث كانت السورة تتحدث عن الأذى الذي تعرض له النبي (صلى الله عليه وسلم) من المشركين، ولذلك كان من المهم أن يصبر النبي في سبيل الله، والصبر توكلي لأن الله سبحانه هو الذي سيتولى أمر من يظلم عبده ويؤذيه[٤] وقال سعيد بن مسفر: "إن تقديم الجار والمجرور على العامل المتعلق به، وهو الصبر، ما قال: اصبر لربك، التقديم هنا للاختصاص، أي: اجعل الصبر مختصًا بالله". "فَاصْبِرْ لِرَبِّكَ" أي: احتسب كل ما ينالك في سبيل الدعوة عند الله عز وجل[٥]. نستنتج من هذا ان فعل الأمر صريح ودلالته هي أن الله يأمر بالصبر في سبيله، سواء في مواجهة الأذى أو الابتلاءات، مع التوكل عليه في جزاء الصبر، والفاء للمباشرة والتّعقيب .

قال تعالى: "**وَذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا** "[٦] هي جزء من سياق طويل يوضح أسلوب الله عز وجل في التعامل مع المكذبين، ومنهم الوليد بن المغيرة، الذي كان من كبار قريش وله نفوذه فهو من أشد المكذبين برسالة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، جاء الكشاف داعما لكلامي بقوله خلقته وهو وحيد فريد لا مال له ولا ولد، كقوله وَلَقَدْ جِئْتُمُونا فُرادى كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد، ولعله لقب بذلك بعد نزول

(١) ينظر: المصدر نفسه:١٠٥.
(٢) الكشاف ٦٤٦/٤.
(٣) التحرير والتنوير: ٣٠٠/٢٩.
(٤) ينظر: المصدر نفسه:٢٩.
(٥) دروس للشيخ سعيد بن مسفر، سعيد بن مسفر ٧٨/٨.
(٦) سورة المدثر، الآية: ١١.

الآية، فإن كان ملقبا به قبل فهو تهكم به وبلقبه، وتغيير له عن الغرض الذي كانوا يؤمونه– من مدحه، والثناء عليه بأنه وحيد قومه لرياسته ويساره وتقدّمه في الدنيا– إلى وجه الذم والعيب: وهو أنه خلق وحيداً لا مال له ولا ولد، فآتاه الله ذلك، فكفر بنعمة الله وأشرك به واستهزأ بدينه مَمْدُوداً مبسوطا كثيراً: أو ممدّا بالنماء، من مدّ الهر ومدّ نهره آخر. قيل: كان له الزرع والضرع والتجارة[1] الكشاف يوضح أن "وَحِيدًا" هو وصف للوليد بن المغيرة الذي خُلق بلا مال ولا ولد، وعندما أعطاه الله من نعمه كفر بها، يقول الكشاف قد يكون لقبه "الوحيد" تهكمًا به لان قبل نزول الآية كان لقبه الوحيد أي وحيد قومة فجاءت هذه الآية تهكما لتنقله من حالة المدح إلى الذم ان الله انعم عليه بعد ان كان فقيرا فكفر بالنعمة، أما "مَمْدُودًا" فتعني أن الله بسط له في ارزاقه.[2] القرطبي يتفق مع الكشاف:" بقوله (ذَرْنِي) أَيْ دَعْنِي، وَهِيَ كَلِمَةُ وَعِيدٍ وَتَهْدِيدٍ. وَمَنْ خَلَقْتُ أَيْ دَعْنِي وَالَّذِي خَلَقْتُهُ وَحِيدًا، فَوَحِيداً عَلَى هَذَا حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ الْمَفْعُولِ الْمَحْذُوفِ، أَيْ خَلَقْتُهُ وَحْدَهُ، لَا مَالَ لَهُ وَلَا وَلَدَ، ثُمَّ أَعْطَيْتُهُ بعد ذلك ما أعطيته، وَالْمُفَسِّرُونَ عَلَى أَنَّهُ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيُّ، وَإِنْ كَانَ النَّاسُ خُلِقُوا مِثْلَ خَلْقِهِ. وَإِنَّمَا خُصَّ بِالذِّكْرِ لِاخْتِصَاصِهِ بِكُفْرِ النِّعْمَةِ وَإِيذَاءِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ يُسَمَّى الْوَحِيدَ فِي قَوْمِهِ.

قَالَ ابن عَبَّاسٍ: كَانَ الْوَلِيدُ يَقُولُ: أَنَا الوحيد بن الْوَحِيدِ، لَيْسَ لِي فِي الْعَرَبِ نَظِيرٌ، وَلَا لِأَبِي الْمُغِيرَةِ نَظِيرٌ، وَكَانَ يُسَمَّى الْوَحِيدَ، فَقَالَ اللَّهُ تعالى: ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ بِزَعْمِهِ وَحِيداً لَا أَنَّ اللَّهَ تعالى صَدَّقَهُ بِأَنَّهُ وَحِيدٌ".[3] المقصود بهذه الآية عند أبي عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي هو الوليد بن المغيرة، رغم أن الناس جميعهم خُلقوا بنفس الطريقة، لكنه ذُكر لشدة كفره بالنعم وإيذائه للنبي، وهو ليس وحيداً[4] قوله: "ذرني ومن خلقت وحيدًا" استئناف يدل على أن حدثًا كان سببًا لنزولها، حين شاع في مكة أن النبي (صلى الله عليه وسلم) عاوده الوحي وأُمر

(١) ينظر: الكشاف،: ٦٤٧/٤.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٦٤٧.
(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٧٠/١٩.
(٤) ينظر: المصدر نفسه:٧٠.

بالإنذار. اجتمع نفر من قريش، منهم أبو لهب والوليد بن المغيرة، واتفقوا على إيجاد وصف يجمعهم في ذم النبي صل الله عليه وسلم ، فترددوا بين كونه شاعرًا، كاهنًا، مجنونًا أو ساحرًا. رفض الوليد هذه الأوصاف ثم انتهى إلى القول بأنه ساحر يفرق بين المرء وعشيرته. فنزلت الآية تهديدًا له، وفيها إيماء إلى انشغال النبي (صلى الله عليه وسلم) بما اختلقه الوليد، واتصالها بقوله "ولربك فاصبر" يزيد المعنى وضوحًا. كما أنَّ "ذرني" تفيد التهديد والوعيد للمذكور بعدها[١] ابن عاشور يوضح أن "ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا" جاءت لتهديد الوليد بن المغيرة ووعيده بعد تكذيبه للنبي، وكذلك بعد اجتماع قريش لاختلاق وصفٍ له.

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٣٠٢/٢٩.

الخاتمة:

بعد دراسة أسلوب الأمر في سورتي المزمل والمدثر من تحليل سياق الآيات، ودلالة الأوامر، وأغراضها المجازية، وصيغها المتنوعة، توصلتُ إلى عدة نتائج.

أهمها أن **أفعال الأمر** في سورة المزمل جاءت بصيغة هادئة تدعو النبي محمد صل الله عليه وسلم إلى العبادة والصبر على المشركين، بينما في سورة المدثر جاءت بصيغة قوية تدعو إلى **الإنذار والجهر** بالدعوة. كما أن بعض الأوامر لم يكن المقصود بها الإلزام فقط، بل حملت معاني أخرى مثل **التعظيم، التخيير، أو الاستمرار**، كلُ حسب سياقه وقد أسهمت التفاسير التي تم الرجوع اليها مثل تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور في فهم السياق العام للآيات وما تحوي أفعالها الأمرية من دلالات وصيغ وأغراض مجازية.

ختاماً، أسأل الله أن يكون هذا البحث قد أوضح جزءً يسيراً من بلاغة القرآن الكريم، وأحث على إجراء مزيد من الدراسات حول أساليب القرآن المجيد لفهمه بشكل أكثر دقةً وعمقاً. والله ولي التوفيق.

المصادر و المراجع

القران الكريم

١-الكتب

- الأساس في التفسير, سعيد حوى (ت: ١٤٠٩ هـ), دار السلام, القاهرة, ط١, ١٤٠٥ - ١٩٨٥ هـ.

- أساليب بلاغية، الفصاحة - البلاغة - المعاني, أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي, وكالة المطبوعات, الكويت, ط١، ١٩٨٠م.

- إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان, شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١ هـ). مؤسسة الرسالة, بيروت - لبنان, ط١ ١٤٢٤ - ٢٠٠٤ م.

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ), دار إحياء التراث العربي, بيروت, ط١,١٤١٨ هـ

- الإيضاح في علوم البلاغة, محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي المعروف بخطيب دمشق ت: ٧٣٩هـ, دار الجيل, بيروت, ط٣، د.ت.

- البستان في إعراب مشكلات القرآن, أحمد بن أبي بكر بن عمر الجبلي المعروف بابن الأحنف اليمني (ت: ٧١٧ هـ), مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية, ط١, ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م.

- البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجي رئيس قسم البلاغة بجامعة الأزهر (ت: ١٤٣٩ هـ) المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة - مصر ٢٠٠٦ م.

- البلاغة العربية, عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت: ١٤٢٥هـ), دار القلم، دمشق الدار الشامية، بيروت, ط١, ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

– تاج العروس من جواهر القاموس محمد مرتضى الحسيني الزبيدي, وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت, دولة الكويت (١٣٨٥) – ١٤٢٢ هـ) = (١٩٦٥ – ٢٠٠١) م

– التحبير شرح التحرير في أصول الفقه علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (ت: ٨٨٥ هـ), مكتبة الرشد, السعودية الرياض, ط١, ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.

– التحرير والتنوير, محمد الطاهر ابن عاشور, الدار تونسية للنشر, تونس, ١٩٨٤ هـ

– تفسير القرآن الثري الجامع في الإعجاز البياني واللغوي والعلمي, محمد الهلال.

– تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه, محمد علي طه الدرة، دار ابن كثير, دمشق, ط١, ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

– التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج, وهبة الزحيلي, دار الفكر (دمشق) – سوريا)، دار الفكر المعاصر (بيروت)) – (لبنان), ط١, ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م.

– التفسير الوسيط للقرآن الكريم, محمد سيد طنطاوي, دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع, الفجالة – القاهرة, ط١, ١٩٩٧ – ١٩٩٨ م.

– جامع البيان عن تأويل آي القرآن, أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ), دار التربية والتراث مكة المكرمة.

– الجامع الصحيح الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ), مركز الشيخ أبي الحسن الندوي للبحوث والدراسات الإسلامية, مظفر فور، أعظم جراه، يوبي، الهند, ط١, ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م.

– الجامع لأحكام القرآن, أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي, دار الكتب المصرية القاهرة, ط, ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤م.

- جمهرة اللغة, أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: هـ), دار العلم للملايين, بيروت, ط ١، ١٩٨٧م.

- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: ١٣٦٢هـ), المكتبة العصرية, بيروت.

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية, أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ), دار العلم للملايين, بيروت, ط٤، ١٤٠٧, هـ - ١٩٨٧ م.

- الصناعتين, أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥ هـ), المكتبة العصرية, بيروت, ط١، ١٤١٩هـ.

- الطراز الأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني العلوي الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (ت: ٧٤٥هـ) المكتبة العصرية, بيروت, ط١، ١٤٢٣هـ.

- علم المعاني, عبد العزيز عتيق (ت: ١٣٩٦ هـ), دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع, بيروت - لبنان ط١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

- علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني) الدكتور محمد أحمد قاسم، الدكتور محيي الدين ديب, المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان, ط١, ٢٠٠٣م.

- عناية الإسلام بتربية الابناء كما بينتها سورة لقمان، أبو عبد الرحمن عرفة بن طنطاوي.

- العين, أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: (١٧٠هـ), دار ومكتبة الهلال.

- فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه محمد صالح الشنطي, دار الأندلس للنشر والتوزيع, السعودية /حائل, ط٥, ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل, محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ), دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي ببيروت, القاهرة - بيروت, ط١٤٠٧,٣ هـ -١٩٨٧ م.

- لسان العرب, محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي ت (٧١١هـ), دار صادر, بيروت, ط٣، ١٤١٤هـ.

- متون طالب العلم - القاسم - المستوى التمهيدي الفضائل - الأذكار - الآداب, د. عبد المحسن بن محمد القاسم, ط١٤٤١,٣ هـ - ٢٠٢٠ م.

- المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية (صلى الله عليه وسلم) من صحيح الإمام البخاري, شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي (ت: ٩٥٦هـ), دار الكتب العلمية, بيروت - لبنان, ط١ ١٤٢٥ هـ -٢٠٠٤ م.

- مجمل اللغة, أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ), مؤسسة الرسالة, بيروت، ط ١٤٠٦ ,٢ هـ - ١٩٨٦ م.

- مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين, محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١ هـ), دار الوطن - دار الثريا, ط١، ١٤٠٧ - ١٤٣٨ هـ.

- محاسن التأويل, محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ), دار الكتب العلمية, بيروت, ط١، ١٤١٨هـ.

- المحيط في اللغة, كافي الكفاة الصاحب إسماعيل بن عباد (ت: ٣٨٥ هـ), عالم الكتب, بيروت, ط١، ١٤١٤ هـ -١٩٩٤ م.

- معجم اللغة العربية المعاصرة, د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤ هـ) عالم الكتب, ط١، ١٤٢٩ هـ -٢٠٠٨ م.

- معجم مقاييس اللغة, أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ), دار الفكر, ط١, ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- مفتاح العلوم, يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت: ٦٢٦هـ), دار الكتب العلمية, بيروت - لبنان, ط١٤٠٧,٢ هـ - ١٩٨٧ م.

- المُنَجَّد في اللغة (أقدم معجم شامل للمشترك اللفظي), علي بن الحسن الهنائي الأزدي، أبو الحسن الملقب بـ «كراع النمل (ت: بعد ٣٠٩هـ), عالم الكتب, القاهرة, ط٢، ١٩٨٨م.

- المنهاج الواضح للبلاغة, حامد عوني, المكتبة الأزهرية للتراث.

- الموسوعة القرآنية، خصائص السور جعفر شرف الدين, دار التقريب بين المذاهب الإسلامية, بيروت, ط١, ١٤٢٠ هـ.

٢-المجلات والدوريات

- دروس للشيخ سعيد بن مسفر, سعيد بن مسفر بن مفرح القحطاني, دروس صوتية قام بتفريغها موقع .http://www.islamweb.net الشبكة الإسلامية.

- سلسلة التفسير لمصطفى العدوي أبو عبد الله مصطفى بن العدوي شلباية, المصري, دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية. .http://www.islamweb.net.